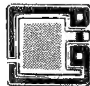
عالم الجن والشياطين

بسم الله الرحمن الرحيم

العقيدة في ضوء الكتاب والسنة
(٣)

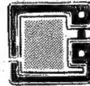
عالم الجن والشياطين

تأليف
الدكتور عمر سليمان الأشقر



مكتبة الفلاح
للنشر والتوزيع

الطبعة الخامسة
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م



مكتبة الفلاح - الكويت
للنشر والتوزيع

شارع بيروت مقابل بريد حولي القديم
تلفون: ٢٦٤٧٧٨٤
ص.ب: ٤٨٤٨ الصفاة الرمز البريدي 13049الكويت
برقيا: لفاتكو

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله به فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وبعد : فقد يظن بعض الناس أنَّ الكتابة في هذا الموضوع من قبيل الترف العلمي ، ويحبذ هؤلاء أن يمرَّ الإنسان بهذا الموضوع مروراً عابراً ، فلا يأخذ من تفكيره إلا القليل ، وهؤلاء يظنون أن الفائدة المرجوة من وراء هذه الدراسة محدودة ، وأن الجهل به لا يضير .

وأنا لن أذهب بعيداً ، فعالم البشر اليوم يبذلون من المال ما يبني المدن ويشيد الدول ، ويقضي على الفقر في بقاع شاسعة من العالم تضم ألوف الملايين ـ في البحث عن إمكانية الحياة والأحياء في الكواكب القريبة منا ، وقد قام العلماء في هذا السبيل بجهود جبارة كلفتهم من الوقت والمال الكثير . فما بالكم بعالم من الأحياء العقلاء يعيشون معنا في أرضنا ، ويخالطوننا في مساكننا ، ويأكلون ويشربون معنا ، وقد يفسدون علينا تفكيرنا وقلوبنا ، وقد يدفعوننا إلى أن نحطم أنفسنا بأنفسنا ، وأن يسفك بعضنا دم بعض ، وقد يعبدوننا لأنفسهم أو لأي مخلوق كي يجلبوا لنا غضب ربنا ، فيحل بنا سخطه ، وينزل بنا غضبه ، ثمَّ تكون عاقبة الشاردين عن ربهم ناراً تلظى .

إن المعلومات التي جاءتنا بها النصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية الموثقة في هذا الجانب لا تقدر بمال .

فهي تكشف لنا أسرار هذا العالم : عالم الجن ، وتمدنا بفيض من المعلومات

تكشف تفاصيل حياتهم ، كما تخبرنا عما يكنه بعض هؤلاء من عداء تجاه الإنسانية ، وما يقومون به من جهود متلاحقة لا تنقطع لإضلالنا وتدميرنا .

وحسبك دليلاً ينبيك عن أهمية الأمر أن تتتبع الآيات التي تحدثت عن الجن والشياطين لتعلم عظم المساحة التي شغلتها هذه النصوص من كتاب الله .

ومن يطالع هذه النصوص يعلم أن حياة الإنسان ليست إلا صراعاً بينه وبين الشيطان ، الشيطان يريد أن يقضي عليه بأن يوبقه ويهلكه ، والإنسان الذي أمده الله بنوره يجاهد كي يستقيم على صراط ربه ، ويقيم غيره على هذا الصراط ، وفي سبيل ذلك لا بدَّ له من أن يصارع هذا العدو في حنايا نفسه ، وخطرات قلبه ، وآماله وأحلامه وتطلعاته ، لا بدَّ له أن يتفحص أهدافه وغاياته القريبة والبعيدة باستمرار كي يتبين مدى قربه وبعده من ربه ، ومدى تخلصه من عدوه الذي يحاول أن يحتنكه ويقوده كما يقود الزارع حماره .

ولقد جمعت النصوص التي تحدثت عن هذا العالم وكلام الأئمة الأعلام عليها وتأملت في ذلك كله فجاء هذا الكتاب في ستة فصول . الفصل الأول تعريف وبيان بهذا العالم : أصلهم ، وخلقهم ، وأسمائهم ، وأصنافهم ، وطعامهم ، وشرابهم ، وزواجهم ، ومساكنهم ، ودوابهم ، وقدراتهم التي وهبهم الله إياها . وستجد في غضون هذا الفصل الأدلة التي تثبت وجودهم ، وترد على المنكرين .

وفي الفصل الثاني بيان الغاية التي خلقوا من أجلها ، وطريقة تبليغهم التعاليم الربانية ، وعموم رسالة محمد ﷺ .

أما الفصل الثالث فهو صلب هذه الرسالة وفيه عدة مباحث :

الأول : أسباب العداء بين الإنسان والشيطان ، والتدليل على قوته وعمقه ، وتحذير الله لنا من هذا العدو .

الثاني : الأهداف القريبة والبعيدة للشيطان .
الثالث : أساليب الشيطان في إضلال الإنسان .
الرابع : قيادته للمعركة ، وجنده فيها .
الخامس: مصائد الشيطان التي يكيد بها الإنسان .

وختمت هذا الفصل بالحديث عن وسوسة الشيطان التي هي سلاحه في إفساد النفوس ، وزرع الفساد في القلوب .

والفصل الرابع تعرضت فيه لعدة قضايا تضِلّ بها الشياطين العباد :

الأولى : تمثل الشياطين وتكليمها لبعض العباد وما ترتب على ذلك من الفساد .
الثانية : تحضير الأرواح ومدى صحة ذلك وعلاقة هذا بالشياطين .
الثالثة : مدى معرفة الجن بعالم الغيب وما ترتب على اعتقاد الناس بأن الجن يعلمون الغيب من فساد .
الرابعة : الجن والأطباق الطائرة .

وفي الفصل الخامس تحديد للأسلحة التي لا بدَّ للمسلم أن يتسلح بها وهو يخوض المعركة مع الشيطان .

وفي الفصل السادس والأخير : تحدثت عن الحكمة من خلق الشيطان .

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا المؤلف كاتبه وناشره وقارئه وأن يجزل للجميع المثوبة ، وأن يعيذنا من الشيطان ، وأن يتولانا بعونه ورعايته ، إنه نعم المولى والنصير وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

عمر سليمان الأشقر

الكويت
٢٨/شوال/١٣٩٨ هـ
٣٠/سبتمبر/١٩٧٨م

الفصل الأول

تعريفٌ وبيانٌ

تعريفٌ وبيانٌ

ما الجن ؟

الجن عالم آخر غير عالم الإنسان وعالم الملائكة ، بينهم وبين الإنسان قدر مشترك من حيث الاتصاف بصفة العقل والإدراك ، ومن حيث القدرة على اختيار طريق الخير والشر ، ويخالفون الإنسان في أمور أهمها أن أصل الجان مخالف لأصل الإنسان .

وسموا جنّاً لاجتنانهم أي استتارهم عن العيون ، (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) « سورة الأعراف / ٢٧ » .

أصلهم :

أخبرنا الله جلَّ وعلا أن الجنَّ قد خُلقوا من النار في قوله : (والجانَّ خلقناه من قبل من نار السموم) « سورة الحجر / ٢٧ » ، وفي سورة الرحمن ، (وخلق الجان من مارج من نار) « آية ١٥ » ، وقد قال ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، والحسن وغير واحد في قوله : (مارج من نار) طرف اللهب ، وفي رواية من خالصه وأحسنه : (البداية والنهاية ١ / ٥٩) وقال النووي في شرحه على مسلم : « المارج اللهب المختلط بسواد النار » .

وفي الحديث الذي أخرجه مسلم عن عائشة ، عن النبي ﷺ قال : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم » .

متى خُلقوا ؟

لا شك أن خلق الجن متقدم على خلق الإنسان لقوله تعالى : (ولقد خلقنا

الإنسان من صلصال من حمأ مسنون ، والجان خلقناه من قبل من نار السموم) « سورة الحجر / ٢٦ ـ ٢٧ » فقد نص في الآية أن الجان مخلوق قبل الإنسان ، ويرى بعض السابقين أنهم خلقوا قبل الإنسان بألفي عام وهذا لا دليل عليه من كتاب ولا سنَّة .

أسماء الجن في لغة العرب :

قال ابن عبد البر : الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان على مراتب :

١ ـ فإذا ذكروا الجن خالصاً قالوا جني .

٢ ـ فإذا أرادوا أنه مما يسكن مع الناس ، قالوا : عامر والجمع عمار .

٣ ـ فإن كان مما يعرض للصبيان قالوا : أرواح .

٤ ـ فإن خبث وتعرض قالوا : شيطان .

٥ ـ فإن زاد أمره على ذلك وقوي أمره قالوا : عفريت

أصناف الجن :

يقول الرسول ـ ﷺ ـ في هذا : (الجن ثلاثة أصناف : فصنف يطير في الهواء ، وصنف حيات وكلاب ، وصنف يحلون ويظعنون) رواه الطبراني ، والحاكم ، والبيهقي في الأسماء والصفات بإسناد صحيح « صحيح الجامع ٣/٨٥ » .

لا مجال للتكذيب بعالم الجن :

أنكرت قلة من الناس وجود الجنِّ إنكاراً كلياً ، وزعم بعض المشركين : أن المراد بالجن أرواح الكواكب « مجموع الفتاوى ٢٤ / ٢٨٠ » .

وزعمت طائفة من الفلاسفة : أن المراد بالجن نوازع الشر في النفس الإنسانية وقواها الخبيثة كما أن المراد بالملائكة نوازع الخير فيهم . « مجموع الفتاوى ٤/٣٤٦ » .

وزعم فريق من المحْدَثين (بفتح الدال المخففة) : أن الجن هم الجراثيم والميكروبات التي كشف عنها العلم الحديث .

وقد ذهب الدكتور محمد البهي (في تفسير سورة الجن) أن المراد بالجن الملائكة ، فالجن والملائكة عنده عالم واحد لا فرق بينهما ؛ ومما استدل به : أن الملائكة مستترون عن الناس ، إلا أنه أدخل في الجن من يتخفى من عالم الإنسان في إيمانه وكفره ، وخيره وشره « تفسير سورة الجن ص ٨ » .

عدم العلم ليس دليلاً :

وغاية ما عند هؤلاء المكذبين أنه لا علم عندهم بوجودهم ، وعدم العلم ليس دليلا [1] ، وقبيح بالعاقل أن ينفي الشيء لعدم علمه بوجوده ، وهذا مما نعاه الله على الكفرة : (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) « سورة يونس / ٣٩ » ، وهذه المخترعات الحديثة التي لا يستطيع أحد أن يكابر فيها ، أكان يجوز لإنسان عاش منذ مئات السنين أن ينكر إمكان حصولها لو أخبره صادق بذلك ؟ وهل عدم سماعنا للأصوات التي يعج بها الكون في كل مكان دليل على عدم وجودها حتى إذا اخترعنا (الراديو) واستطاع التقاط ما لا نسمع صدقنا بذلك ؟ !

والصحيح :

والقول الحق أن الجن عالم ثالث غير عالم الملائكة والبشر ، وأنهم مخلوقات عاقلة واعية مدركة ليسوا بأعراض ولا جراثيم ، وأنهم مكلفون مأمورون منهيون .

---

(١) ليس لهم أن يحتجوا بما ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس أنه كان ينكر مخاطبة الرسول ـ ﷺ ـ للجن وتكليمهم له ، فإن انكاره هنا للمشافهة لا للجن ، ومع ذلك فغير ابن عباس كابن مسعود يثبت مشافهة الرسول ـ ﷺ ـ (ومن حفظ حجة على من لم يحفظ) .

الأدلة :

١ ـ التواتر :

يقول ابن تيمية « مجموع الفتاوى ١٩ / ١٠ » : لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن ، ولا في أن الله أرسل محمداً ـ ﷺ ـ إليهم ، وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن ، أمّا أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرّون بهم كإقرار المسلمين ، وإن وجد فيهم من ينكر ذلك . وكما يوجد في المسلمين من ينكر ذلك ... كالجهمية والمعتزلة ، وإن كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرين بذلك .

وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواتراً معلوماً بالضرورة ، ومعلوم بالضرورة أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة ، بل مأمورون منهيون ، ليسوا صفات وأعراضا قائمة بالإنسان أو غيره ، كما يزعمه بعض الملاحدة ، فلما كان أمر الجن متواتراً عن الأنبياء تواتراً تعرفه العامة والخاصة لم يمكن طائفة من المنتسبين إلى الرسل الكرام أن تنكرهم .

وقال في ص ١٣ « جميع طوائف المسلمين يقرون بوجود الجن ، وكذلك جمهور الكفار كعامة أهل الكتاب ، وكذلك عامة مشركي العرب وغيرهم من أولاد حام ، وكذلك جمهور الكنعانيين واليونان من أولاد يافث فجماهير الطوائف تقر بوجود الجن » .

٢ ـ النصوص القرآنية والحديثية :

كقوله تعالى :(قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن) « سورة الجن / ١ » وقوله : (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن ، فزادوهم رهقا) « سورة الجن / ٦ » .

وهي نصوص كثيرة سيأتي ذكر غالبها في ثنايا هذه الرسالة إن شاء الله .

٣ ـ المشاهدة والرؤية :

كثير من الناس في عصرنا وقبل عصرنا شاهد شيئاً من ذلك ، وإن كان كثير من الذين يشاهدونهم ويسمعونهم لا يعرفون أنهم جنٌّ ، إذ يزعمون أنَّهم أرواح ، أو رجال الغيب ، أو رجال الفضاء ...

وقد حدثنا الثقات في القديم والحديث عن مشاهداتهم . فهذا عالم جليل يدعى الأعمش يقول : تروَّح إلينا جني ، فقلت له : ما أحب الطعام إليكم ؟ فقال : الأرز ، قال : فأتيناهم به ، فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحدا ، فقلت : فيكم من هذه الأهواء التي فينا ؟ قال : نعم ، فقلت : فما الرافضة فيكم ؟ قالوا : شرنا .

قال ابن كثير بعد سوقه لهذه القصة : عرضت هذا الإسناد على شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي ، فقال : هذا إسناد صحيح إلى الأعمش . ثمَّ قال : وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة العباس بن أحمد الدمشقي قال : سمعت بعض الجن وأنا في منزل لي بالليل ينشد :

قلوب براها الحب حتى تعلقت مذاهبها في كل غرب وشارق
تهيم بحب الله ، والله ربها معلقة بالله دون الخلائق

ا.هـ كلام ابن كثير .

أقول : وقد حدثني كثير من الثقات عن مخاطبتهم للجن ورؤيتهم لهم ، وسيأتي ذكر شيء من ذلك عند حديثنا عن قدرتهم على التشكل بصور مختلفة ؛ إن شاء الله تعالى .

٤ ـ أصلهم الذي خلقوا منه :

أخبر الرسول ـ ﷺ ـ أن الملائكة خلقوا من نور والجن خلقوا من نار ، ففرق بين الأصلين ، وهذا يرد على الذين لا يفرقون بين الجن والملائكة .

رؤية الحمار والكلب للجن :

إذا كنا لا نرى الجن فإن بعض الأحياء يرونهم كالحمار والكلب ، ففي مسنـد أحمد ، وسنن أبي داود بإسناد صحيح عن جابر مرفوعا : «إذا سمعتم نباح الكلاب ، ونهيق الحمير بالليل ، فتعوذوا بالله من الشيطان ، فإنهنَّ يرون ما لا ترون» .

وهذا ليس غريباً فقد تحقق العلماء من قدرة بعض الأحياء على رؤية ما لا نراه ، فالنحل يرى الأشعة فوق البنفسجية ، ولذلك فإنَّه يرى الشمس حال الغيم ، والبومة ترى الفأر في ظلمة الليل البهيم ...

الشيطان والجان

الشيطان الذي حدثنا الله عنه كثيراً في القرآن من عالم الجنِّ ، كان يعبد الله في بداية أمره ، وسكن السماء مع الملائكة ، ودخل الجنة ، ثمَّ عصى ربه عندما أمره أن يسجد لآدم استكباراً وعلواً وحسداً ، فطرده الله من رحمته .

والشيطان في لغة العرب يطلق على كل عاتٍ متمرد ، وقد أطلق على هذا المخلوق لعتوّه وتمرده على ربِّه .

وأطلق عليه لفظ (الطاغوت) (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً) (سورة النساء / ٧٦) وهذا الاسم معلوم عند غالبية أمم الأرض بنفس اللفظ كما يذكر العقاد في كتابه (إبليس) وإنما سمي طاغوتاً لتجاوزه حده ، وتمرده على ربه ، وتنصيبه نفسه إلهاً يعبد .

وقد يئس هذا المخلوق من رحمة الله ، ولذا أسماه الله (بإبليس) والَبَلَس في لغة العرب من لا خير عنده ، وأُبلس يئس وتحيّر .

ويذكر جمع من علماء السلف أن اسمه قبل أن يعصي (عزازيل) والله أعلم بمدى صحة ذلك .

الشيطان مخلوق :

الذي يطالع ما جاء في القرآن والحديث عن الشيطان يعلم أنه مخلوق يعقل ويدرك ويتحرك و ... وليس كما يقول بعض الذين لا يعلمون : « أنه روح الشر متمثلة في غرائز الإنسان الحيوانية التي تصرفه ، إذا تمكنت من قلبه عن المثل الروحية العليا » (دائرة المعارف الحديثة ص ٣٥٧) .

أصله :

سبق القول بأن الشيطان من الجن ، وقد نازع في هذه المسألـة بعض المتقدمين والمتأخرين ، وحجتهم في ذلك قوله تعالى : (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، فسجدوا إلا إبليس أبى ، واستكبر ، وكان من الكافرين) (سورة البقرة / ٣٤) ، وأمثال هذه الآية التي يستثني الله فيها إبليس من الملائكة ، والمستثنى لا يكون إلا من جنس المستثنى منه عادة .

وقد نقلت لنا كتب التفسير والتاريخ أقوال جملة من العلماء ، يذكرون أن إبليس كان من الملائكة ، وأنه كان خازناً للجنة ، أو للسماء الدنيا ، وأنه كان من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة ... إلى آخر تلك الأقوال ، قال ابن كثير في تفسيره (٤ / ٣٩٧) : (وقد روي في هذا آثار كثيرة عن السلف ، وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها ، والله أعلم بحال كثير منها ، ومنها ما يقطع بكذبه لمخالفته للحقِّ الذي بأيدينا ، وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة ؛ لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان ، وقد وضع فيها أشياء كثيرة ، وليس لهم من الحفَّاظ المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، كما لهذه الأمة من الأئمة ، والعلماء ، والسادة ، والأتقياء ، والبررة ، والنجباء من الجهابذة النقاد ، والحفاظ الجياد الذين دونوا الحديث ، وحرروا وبينوا صحيحه ، من حسنه ، من ضعيفه ، من منكره ، وموضوعه ، ومتروكه ، ومكذوبه ، وعرفوا الوضاعين ، والكذابين ، والمجهولين ، وغير ذلك من أصناف الرجال ،

كل ذلك صيانة للجناب النبوي ، والمقام المحمدي خاتم الرسل وسيد البشر ـ ﷺ ـ أن ينسب إليه كذب ، أو يحدث عنه بما ليس فيه » .

وما احتجوا به من أن الله استثنى إبليس من الملائكة ... ليس دليلا قاطعاً ؛ لاحتمال أن يكون الاستثناء منقطعاً ؛ بل هو كذلك حقا ، للنص على أنَّه من الجن في قوله تعالى : (وإذ قلنا للملائكة : اسجدوا لآدم ، فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ، ففسق عن أمر ربه ..) (سورة الكهف / ٥٠) .

وقد ثبت لدينا بالنص الصحيح أن الجن غير الملائكة والإنس ، فقد أخبر المصطفى ـ ﷺ ـ : (أن الملائكة خلقوا من نور ، وأن الجن خلقوا من نار ، وأن آدم خلق من طين) والحديث في صحيح مسلم .

قال الحسن البصري : لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين (البداية والنهاية ١ / ٧٩) ، والذي حققه ابن تيمية : أن الشيطان كان من الملائكة باعتبار صورته ، وليس منهم باعتبار أصله ، ولا باعتبار مثاله) (مجموع الفتاوى ٤ / ٣٤٦) .

هل الشيطان أصل الجن أم واحد منهم ؟

ليس لدينا نصوص صريحة تدلنا على أن الشيطان أصل الجن ، أو واحد منهم ، وإن كان هذا الأخير أظهر لقوله تعالى : (إلا إبليس كان من الجن) (سورة الكهف / ٥٠) .

وابن تيمية يذهب إلى أن الشيطان أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس . (راجع مجموع الفتاوى ٤ / ٢٣٥ ، ٣٤٦) .

طعام الجن وشرابهم :

ـ الجن والشيطان منهم ، يأكلون ويشربون ، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ أمره أن يأتيه بأحجار يستجمر

بها ، وقال له : « ولا تأتيني بعظم ولا بروثة » ولما سأل أبو هريرة الرسول ـ ﷺ ـ بعد ذلك عن سرّ نهيه عن العظم والروثة ، قال : « هما من طعام الجن ، وإنّه أتاني وفد نصيبين ـ ونعم الجن ـ فسألوني الزاد ، فدعوت الله لهم : أن لا يمروا بعظم ولا روثة إلا وجدوا عليها طعاما » وفي سنن الترمذي بإسناد صحيح : « لا تستنجوا بالروث ، ولا بالعظام ، فإنَّه زاد إخوانكم من الجن » (صحيح الجامع ٢ / ١٥٤) وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود « أتاني داعي الجن فذهبت معه ، فقرأت عليهم القرآن ، قال : فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم ، وسألوه الزاد فقال : لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم لحما ، وكل بقرة علف لدوابكم ، فقال النبي ـ ﷺ ـ : « فلا تستنجوا بهما فإنهما زاد إخوانكم » (١)

وقد أخبرنا الرسول ـ ﷺ ـ أن الشيطان يأكل بشماله ، وأمرنا بمخالفته في ذلك ، روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما ؛ أنَّ النبي ـ ﷺ ـ قال : « إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه ، وإذا شرب فليشرب بيمينه ، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله » .

وفي مسند الإمام أحمد « من أكل بشماله أكل معه الشيطان ، ومن شرب بشماله شرب معه الشيطان » .

وفي المسند أيضاً « إذا دخل الرجل بيته فذكر اسم الله حين يدخل وحين يطعم ، قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء ههنا ، وإن دخل ولم يذكر اسم الله عند دخوله ، قال : أدركتم المبيت ، وإن لم يذكر اسم الله عند طعامه ، قال : أدركتم المبيت والعشاء » وأخرجه مسلم أيضاً . ففي هذه النصوص دلالة قاطعة على أن الشياطين تأكل وتشرب .

وكما أن الإنس منهيون عن أكل ما لم يذكر اسم الله عليه من اللحوم ،

---

(١) إذا كنّا منهيين عن إفساد طعام الجن فيحرم علينا من باب أولى إفساد طعام الإنس .

فكذلك الجن المؤمنون جعل لهم الرسول - ﷺ - طعاماً كل عظم ذكر اسم الله عليه ، فلم يبح لهم متروك التسمية ، ويبقى متروك التسمية لكفرة الجن : الشياطين ، فإن الشيطان يستحل الطعام إذا لم يذكر عليه اسم الله ، ولأجل ذلك ذهب بعض العلماء إلى أن الميتة طعام الشيطان ؛ لأنه لم يذكر اسم الله عليها .

واستنتج ابن القيم من قوله تعالى : (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان) (سورة المائدة / ٩٠) أن المسكر شراب الشيطان ، فهو يشرب من الشراب الذي عمله أولياؤه بأمره ، وشاركهم في عمله ، فيشاركهم في شربه ، وإثمه وعقوبته .

هل يتزاوج الجن ويتكاثرون ؟

الذي يظهر أن الجن يقع منهم النكاح ، وقد استدل بعض العلماء على ذلك بقوله تعالى في أزواج أهل الجنة (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) (سورة الرحمن / ٥٦) وذكر صاحب (لوامع الأنوار البهية) حديثاً يحتاج إلى نظر في إسناده ، يقول : (إن الجن يتوالدون ، كما يتوالد بنو آدم ، وهم أكثر عدداً) رواه ابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ في العظمة عن قتادة . وسواء أصح هذا الحديث أم لم يصح فإن الآية صريحة في أن الجن يتأتى منهم الطمث وحسبنا هذا دليلاً .

وقد زعم قوم أن الجن لا يأكلون ولا يشربون ، ولا يتناكحون ، وهذا القول تبطله الأدلة التي سقناها من الكتاب والسنة .

وبعض العلماء ذكر أن الجن أنواع منهم من يأكل ويشرب ومنهم من ليس كذلك ، يقول وهب بن منبه « الجنّ أجناس : فأمّا خالص الجن فهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ، ولا يموتون ، ولا يتوالدون ، ومنهم أجناس يأكلون ، ويشربون، ويتوالدون ، ويتناكحون ، ويموتون ، قال : وهي هذه السعالى والغول وأشباه ذلك ». أخرجه ابن جرير (لوامع الأنوار ٢ / ٢٢٢)

وهذا الذي ذكره وهب يحتاج إلى دليل ، ولا دليل . وقد حاول بعض العلماء الخوض في الكيفية التي يأكلون بها ، هل هو مضغ وبلع ، أو تشمم واسترواح ، والبحث في ذلك خطأ لا يجوز لأننا لا نعلم بالكيفية ، ولم يخبرنا الله ورسوله ﷺ .

زواج الإنس من الجن :

لا زلنا نسمع أن فلاناً من الناس تزوج جنية ، أو أن امرأة من الإنس خطبها جني ، وقد ذكر السيوطي آثاراً وأخباراً عن السلف والعلماء تدل على وقوع التناكح بين الإنس والجن . يقول ابن تيمية (المجموع ١٩ / ٣٩) : « وقد يتناكح الإنس والجن ويولد بينهما ولد وهذا كثير معروف » .

وعلى فرض إمكان وقوعه فقد كرهه جمع من العلماء كالحسن وقتادة والحكم وإسحاق ، والإمام مالك ـ رحمه الله ـ لا يجد دليلاً ينهي عن مناكحة الجن ، غير أنّه لم يستحبه ، وعلل ذلك بقوله : « ولكني أكره إذا وجدت امرأة حامل فقيل من زوجك ؟ قالت : من الجن فيكثر الفساد » .

وذهب قوم إلى المنع من ذلك ، واستدلوا على مذهبهم بأنَّ الله امتن على عباده من الإنس بأنّه جعل لهم أزواجاً من جنسهم : (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً ، لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة) (سورة الروم / ٢١) .

فلو وقع فلا يمكن أن يحدث التآلف والانسجام بين الزوجين لاختلاف الجنس ، فتصبح الحكمة من الزواج لاغية ، إذ لا يتحقق السكن والمودة المشار إليهما في الآية الكريمة .

وعلى كل فهذه مسألة يزعم بعض الناس وقوعها في الحاضر والماضي ، فإذا حدثت فهي شذوذ ـ قلما ـ يسأل فاعلها عن حكم الشرع فيها وقد يكون فاعلها مغلوباً على أمره لا يمكنه أن يتخلص من ذلك .

ومما يدل على إمكان وقوع التناكح بين الإنس والجن أن حور الجنة قال الله فيهن: (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) (سورة الرحمن / ٥٦) فدلت الآية على صلاحيتهن للإنس والجن على حد سواء .

هل تموت الشياطين ؟

لا شك أن الجن ومنهم الشياطين يموتون ، إذ هم داخلون في قوله تعالى : (كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ، فبأيِّ آلاء ربكما تكذبان) (سورة الرحمن / ٢٦ ـ ٢٨) .

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس أن النبي ـ ﷺ ـ كان يقول : « أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت ، الذي لا يموت ، والجن والإنس يموتون » .

أما مقدار أعمارهم فلا نعلمها إلا ما أخبرنا الله عن إبليس اللعين أنه سيبقى حيّاً إلى أن تقوم الساعة : (قال : انظرني إلى يوم يُبعثون ، قال : إنك من المنظرين) . (سورة الأعراف / ١٤ ـ ١٥) .

أما غيره فلا ندري مقدار أعمارهم ، إلا أنهم أطول أعماراً من الإنس .

ومما يدلّ على أنهم يموتون أن خالد بن الوليد قتل شيطانة العزى ، (الشجرة التي كانت تعبدها العرب) ، وأن صحابياً قتل الجنى الذي تمثل بأفعى ، كما سيأتي بيانه .

مساكن الجن وأماكنهم وأوقات تواجدهم :

الجن يسكنون هذه الأرض التي نعيش فوقها ، ويكثر تواجدهم في الخراب والفلوات ، ومواضع النجاسات كالحمامات والحشوش والمزابل والمقابر ، ولذلك ـ كما يقول ابن تيمية ـ يأوي إلى كثير من هذه الأماكن التي هي مأوى الشياطين : الشيوخ الذين تقترن بهم الشياطين ، وقد جاءت الأحاديث التي تنهي عن الصلاة في الحمام ، لأجل ما فيها من نجاسة ، ولأنها

مأوى الشياطين ، وفي المقبرة لأنها ذريعة إلى الشرك ، مع أن المقابر قد تكون مأوى للشياطين .

ويكثر تواجدهم في الأماكن التي يستطيعون أن يفسدوا فيها كالأسواق ، فقد أوصى الرسول ـ ﷺ ـ أحد أصحابه قائلا : (لا تكونن إن استطعت أول من تدخل السوق ، ولا آخر من يخرج منها ، فإنها معركة الشيطان ، وبها ينصب رايته) رواه مسلم في صحيحه .

والشياطين تبيت في البيوت التي يسكنها الناس ، وتطردها التسمية ، وذكر الله ، وقراءة القرآن ، خاصة سورة البقرة ، وآية الكرسي منها ، وأخبر الرسول ـ ﷺ ـ أن الشياطين تنتشر ، وتكثر بحلول الظلام ، ولذا أمرنا أن نكف صبياننا في هذه الفترة وهو حديث متفق عليه .

والشياطين تهرب من الأذان ولا تطيق سماع صوته ، وفي رمضان تُصَفَّد الشياطين .

من مجالس الشياطين :

تحب الشياطين الجلوس بين الظل والشمس ؛ ولذا نهى الرسول ـ ﷺ ـ عن الجلوس بينهما ، وهو حديث صحيح مروي في السنن وغيرها .

دواب الجن :

في حديث ابن مسعود في صحيح مسلم أن الجن سألوا الرسول ـ ﷺ ـ الزاد ، فقال : لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه ، يقع في أيديكم لحماً ، وكل بعرة علف لدوابكم) .

فأخبر أن لهم دواب ، وأن علف دوابهم بعر دواب الإنس .

حيوانات تصاحبها الشياطين :

من هذه الحيوانات الإبل ، يقول الرسول ـ ﷺ : (إن الإبل خلقت

من الشياطين ، وإن وراء كل بعير شيطاناً) رواه سعيد بن منصور في سننه بإسناد مرسل حسن (صحيح الجامع ٢ / ٥٢) ومن أجل ذلك نهى الرسول - ﷺ - عن الصلاة في مبارك الإبل ، ففي مسند احمد ، وسنن أبي داود أن الرسول - ﷺ - قال : (لا تصلوا في مبارك الإبل ، فإنها من الشياطين ، وصلوا في مرابض الغنم فإنها بركة ...) .

وفي سنن ابن ماجة باسناد صحيح : (ولا تصلوا في أعطان الإبل ، فإنها خلقت من الشياطين) .

وهذه الأحاديث ترد على من قال بأنَّ علة النهي عن الصلاة في مبارك الإبل نجاسة أبوالها وروثها ، فالصحيح أن روث وبول ما يؤكل لحمه غير نجس .

قبح صورة الشيطان :

الشيطان قبيح الصورة ، وهذا مستقر في الأذهان ، وقد شبه الله ثمار شجرة الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم برؤوس الشياطين ، لما علم من قبح صورهم وأشكالهم ، (إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ، طلعها كأنّه رؤوس الشياطين) (سورة الصافات / ٦٤ - ٦٥) .

وقد كان النصارى في القرون الوسطى يصورون الشيطان على هيئة رجل أسود ذي لحية مدببة ، وحواجب مرفوعة ، وفم ينفث لهبا ، وقرون وأظلاف وذيل (دائرة المعارف الحديثة / ٣٥٧) .

الشيطان له قرنان :

ففي صحيح مسلم عن ابن عمر أن النبي - ﷺ - قال : « لا تَحَرَّوا بصلاتكم طلوع الشمس ، ولا غروبها ، فإنَّها تطلع بين قرني شيطان » . وفي البخاري ومسلم عنه : « إذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تغيب ، ولا تَحَيَّنُوا بصلاتكم طلوع الشمس ، ولا غروبها ، فإنَّها تطلع

بين قرني شيطان » .

والمعنى أن طوائف من المشركين كانوا يعبدون الشمس ويسجدون لها عند طلوعها وعند غروبها ، فعند ذلك ينتصب الشيطان في الجهة التي تكون فيها الشمس حتى تكون عبادتهم له .

وقد نهينا عن الصلاة في هذين الوقتين ، والصحيح أن الصلاة في هذين الوقتين جائزة إذا كان لها سبب كتحية المسجد ، ولا تجوز بلا سبب كالنفل المطلق ؛ لقوله ـ ﷺ ـ (لا تَحَيَّنُوا) أي لا تتقصدوا ومما ورد فيه ذكر قرن الشيطان حديث البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ يشير إلى المشرق ، فقال : « ها إن الفتنة ههنا ، إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان » . والمراد بقوله « حيث يطلع قرن الشيطان » أي جهة الشرق .

قدراتهم :

أعطى الله الجنَّ قدرة لم يعطها للبشر ، وقد حدثنا الله عن بعض قدراتهم ، فمن ذلك **سرعة الحركة والانتقال :**

فقد تعهد عفريت من الجن لنبي الله سليمان بإحضار عرش ملكة اليمن إلى بيت المقدس في مدة لا تتجاوز قيام الرجل من جلوس ، فقال الذي عنده علم من الكتاب : أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك (قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لَقَوي أمين ، قال الذي عنده علم من الكتاب : أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ، فلما رآه مستقراً عنده قال : هذا من فضل ربي ...) (سورة النمل / ٣٩ ـ ٤٠) .

سبقهم الإنسان في مجالات الفضاء :

ومنذ القدم كانوا يصعدون إلى أماكن متقدمة في السماء ، فيسترقون أخبار السماء ، ليعلموا بالحَدَث قبل أن يكون ، فلما بعث الرسول ـ ﷺ ـ

زيدت الحراسة في السماء : (وأنّا لمسنا السماء ، فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهبا ، وأنّا كنّا نقعد منها مقاعد للسمع ، فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً) (سورة الجن / ٨ ـ ٩) .

وقد وضح الرسول ـ ﷺ ـ كيفية استراقهم السمع ، فعن أبي هريرة يبلغ به النبي ـ ﷺ ـ « إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله ، كالسلسلة على صفوان ينفذهم ذلك ، فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا الذي قاله الحق ، وهو العلي الكبير ، فيسمعها مسترقو السمع ، ومستمعو السمع هكذا ، واحد فوق آخر ، ووصف سفيان بيده ، وفرج بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضها فوق بعض ، فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها الى صاحبه فيحرقه ، وربما لم يدركه حتى يرمي بها الى الذي يليه ، الى الذي هو أسفل منه ، حتى يلقوها الى الأرض ، وربما قال سفيان : حتى تنتهي الى الأرض فتلقى على فم الساحر فيكذب معها مائة كذبة ، فيصدق ، فيقولون : ألم يخبرنا يوم كذا وكذا بكذا وكذا ، فوجدناه حقاً للتي سمعت من السماء» رواه البخاري في صحيحه .

خرافة جاهلية :

وهذا العلم عن السبب الذي من أجله يرمي بشهب السماء قضي على خرافة كان يتناقلها أهل الجاهلية ، فعن عبد الله بن عباس قال : أخبرني رجل من أصحاب النبيّ ـ ﷺ ـ من الأنصار ، أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ـ ﷺ ـ رمي بنجم فاستنار ، فقال لهم رسول الله : « ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . كنا نقول : ولد الليلة رجل عظيم ، ومات رجل عظيم . فقال رسول الله ﷺ : « فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ؛ ولكنّ ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً

سبح حملة العرش ، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم ، حتى يبلغ التسبيح أهل السماء الدنيا ، ثمَّ قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش : ماذا قال ربكم ؟ فيخبرونهم ماذا قال . قال فيستَخبر بعض أهل السموات بعضاً ؛ حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا . فتخطف الجنُّ السمع ، فيقذفون إلى أوليائهم ، ويرمون به فما جاءوا به على وجهه فهو حق ، ولكنهم يَقْرِفون فيه ويزيدون » رواه مسلم في صحيحه .

علمهم بالإعمار والتصنيع :

أخبرنا الله أنه سخر الجن لنبيِّه سليمان ، فكانوا يقومون له بأعمال كثيرة تحتاج إلى قدرات ، وذكاء ، ومهارات ، (ومن الجنّ من يعمل بين يديه بإذن ربه ، ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ، يعملون له ما يشاء من محاريب ، وتماثيل ، وجفان كالجواب ، وقدور راسيات) (سورة سبأ/١٣ ـ ١٤) .

ولعلهم قد توصلوا منذ القدم إلى اكتشاف مثل (الراديو والتلفزيون) ، فقد ذكر ابن تيمية (مجموع الفتاوى ١١ / ٣٠٩) أن بعض الشيوخ الذين كان لهم اتصال بالجن أخبره وقال له : « إن الجن يرونه شيئاً براقاً مثل الماء والزجاج ، ويمثلون له فيه ما يطلب منه من الأخبار به ، قال فأخبر الناس به ، ويوصلون إلى كلام من استغاث بي من أصحابي ، فأجيبه فيوصلون جوابي إليه » .

قدرتهم على التشكل :

للجن قدرة على التشكل بأشكال الإنسان والحيوان ، فقد جاء الشيطان المشركين يوم بدر في صورة سراقة بن مالك ، ووعد المشركين بالنصر ، وفيه أنزل : (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم ، وقال لا غالب لكم اليوم من الناس ، وإني جار لكم) (سورة الأنفال / ٤٨) .

ولكن عندما التقى الجيشان وعاين الملائكة تتنزل من السماء ولى هاربا :

(فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه ، وقال : إني بريء منكم ، إني أرى ما لا ترون ، إني أخاف الله ...) (سورة الأنفال / ٤٨) وقد جرى مع أبي هريرة قصة طريفة رواها البخاري وغيره ؛ قال أبو هريرة : وكلني رسول الله بحفظ زكاة رمضان ، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته ، وقلت : والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ، قال : إني محتاج ، وعليّ عيال ، ولي حاجة شديدة ، قال فخليت عنه ، فأصبحت فقال النبي ﷺ : يا أبا هريرة ، ما فعل أسيرك البارحة ؟ قال : قلت : يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا ، فرحمته ، فخليت سبيله ، قال أما إنه كذبك وسيعود ، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود ، فرصدته ، فجاء يحثو من الطعام ، فأخذته ، فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ؛ قال : دعني ، فإني محتاج ، وعلي عيال ، لا أعود ، فرحمته ، فخليت سبيله ، فأصبحت ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا هريرة ، ما فعل أسيرك ؟ قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته . فخليت سبيله . قال : أما إنه كذبك وسيعود ، فرصدته الثالثة ، فجاء يحثو من الطعام ، فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ، وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم لا تعود ، ثمَّ تعودَ ! قال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها ، قلت ما هو ؟ قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) حتى تختم الآية ، فإنَّك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فخليت سبيله ، فأصبحت ، فقال لي رسول الله ـ ﷺ : ما فعل أسيرك البارحة ؟ قلت يا رسول الله زعم أنّه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله ، قال : ما هي ؟ قلت قال لي : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الله لا إله إلا هو الحيُّ القيوم ، وقال لي : لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، وكانوا أحرص شيء على الخير ، قال النبي : أما إنه صدقك وهو كذوب ، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟ قال : لا ، قال : ذاك شيطان » فقد تشكل هذا الشيطان في صورة إنسان .

وقد يتشكل في صورة حيوان : جمل ، أو حمار ، أو بقرة ، أو كلب ، أو قط .

خاصة الكلاب السود ، ولذا أخبر الرسول ـ ﷺ ـ أن مرور الكلب الأسود يقطع الصلاة وعلل ذلك بأن (الكلب الأسود شيطان) يقول ابن تيمية : « الكلب الأسود شيطان الكلاب والجن تتصور بصورته كثيراً ، وكذلك بصورة القط الأسود ، لأن السواد أجمع للقوى الشيطانية من غيره ، وفيه قوة الحرارة » .

جنان البيوت :

تتشكل الجان بشكل الحيات وتظهر للناس ، ولذا نهى الرسول ـ ﷺ ـ عن قتل جنان البيوت ، خشية أن يكون هذا المقتول جنياً قد أسلم ، ففي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ بالمدينة نفراً من الجنِّ قد أسلموا ، فمن رأى شيئاً من هذه العوامر فليؤذنه ثلاثا ، فإن بدا له بعد فليقتله ، فإنّه شيطان » .

وقد قتل أحد الصحابة حيّة من حيات البيوت ، فكان في ذلك هلاكه ، روى مسلم في صحيحه : أن أبا السائب دخل على أبي سعيد الخدري في بيته ، فوجده يصلي ، قال : فجلست أنتظره حتى يقضي صلاته ، فسمعت تحريكاً في عراجين في ناحية البيت ، فالتفت ، فإذا حيّة ، فوثبت لأقتلها ، فأشار إليّ أن اجلس ، فجلست ، فلما انصرف أشار إلى بيت في الدار ، فقال : أترى هذا البيت ؟ قلت : نعم . قال : كان فيه فتى منّا حديث عهد بعرس ، قال : فخرجنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ إلى الخندق ، فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ـ ﷺ ـ بأنصاف النهار ، فيرجع إلى أهله ، فاستأذنه يوماً ، فقال له رسول الله ﷺ : « خذ عليك سلاحك ، فإني أخشى عليك قريظة ، فأخذ الرجل سلاحه ، ثمَّ رجع ، فإذا امرأته بين البابين قائمة ، فأهوى إليها

بالرمح ليطعنها به ، وأصابته غيرة ، فقالت له : اكفف عليك رمحك ، وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني ، فدخل فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش ، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها به ، ثم خرج ، فركزه في الدار ، فاضطربت عليه ، فما يدري أيهما كان أسرع موتا : الحية أم الفتى ؟ قال : فجئنا إلى رسول الله - ﷺ - فذكرنا ذلك له ، وقلنا ادع الله يحييه لنا ، فقال : « استغفروا لصاحبكم » ، ثمّ قال : « إن بالمدينة جنًّا قد أسلموا ، فإذا رأيتم منهم شيئاً فآذنوه ثلاثة أيام ، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه ، فإنّما هو شيطان » .

تنبيهات :

١ - هذا الحكم ، وهو النهي عن قتل هذه الحيوانات خاص بالحيات دون غيرها .

٢ - وليس كل الحيات ، بل الحيات التي نراها في البيوت دون غيرها ، أمّا التي نشاهد خارج البيوت فنحن مأمورون بقتلها .

٣ - إذا رأيت حيات البيوت فنؤذنها أي نأمرها بالخروج ، كأن نقول : أقسمت عليك بالله أن تخرجي من هذا المنزل ، وأن تبعدي عنّا شرّك وإلا قتلناك .

فإن رؤيت بعد ثلاثة أيام قتلت .

٤ - والسبب في قتلها بعد ثلاثة أيام أننا نكون قد تأكدنا أنها ليست جنّاً مسلماً ، لأنها لو كانت كذلك لغادرت المنزل . فإن كانت أفعى حقيقية فهي تستحق القتل ، وإن كانت جنّا كافراً متمرداً فهو يستحق القتل ؛ لأذاه واخافته أهل المنزل .

٥ - يستثنى من جنان البيوت نوع يقتل بدون استئذان ، ففي صحيح البخاري عن أبي لبابة أن الرسول - ﷺ - قال : (لا تقتلوا الجنان ، إلا كلَّ أبتر ذي طفيلتين ؛ فإنه يسقط الولد ، ويذهب البصر فاقتلوه) .

وهل كل الحيات من الجنّ أم بعضها ؟ يقول الرسول ـ ﷺ : « الحيّات مسخ الجنّ صورة ، كما مسخت القردة والخنازير من بني إسرائيل » (رواه الطبراني وأبو الشيخ في العظمة باسناد صحيح) ، (راجع الأحاديث الصحيحة ٣ / ١٠٤) .

الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من العروق :

ففي صحيحي البخاري ومسلم عن أنس ، قال : قال رسول الله ـ ﷺ : « إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم » ، وفي الصحيحين عن صفية بنت حيي زوج النبي ـ ﷺ ـ قالت : « كان رسول الله ـ ﷺ ـ معتكفاً ، فأتيته أزوره ليلا ، فحدثته ، ثمَّ قمت لأنقلب ، فقام معي ليقلبني (يردني) ، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد ، فمرَّ رجلان من الأنصار ، فلما رأيا رسول الله ـ ﷺ ـ أسرعا ، فقال النبي ـ ﷺ ـ على رسلكما إنها صفية بنت حيي ، فقالا : سبحان الله يا رسول الله !! قال : إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرّا ، أو قال : شيئاً » .

ضعفهم وعجزهم :

الجن والشياطين فيهم جوانب قوة ، وجوانب ضعف ، قال تعالى : « إن كيد الشيطان كان ضعيفاً » (سورة النساء / ٧٦) وسنعرض لبعض هذه الجوانب التي عرفنا الله ورسوله بها .

لا سلطان لهم على عباد الله الصالحين :

لم يعط الرب سبحانه ـ الشيطان ـ القدرة على إجبار الناس ، وإكراههم على الضلال والكفر ، (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ، وكفى بربك

وكيلا) (سورة الإسراء / ٦٥) . (وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو في شك) (سورة سبأ / ٢١) . ومعنى ذلك أن الشيطان ليس له طريق يتسلط به عليهم لا من جهة الحجة ، ولا من جهة القدرة . والشيطان يدرك هذه الحقيقة ، (قال : رب بما اغويتني لأزينن لهم في الأرض ، ولأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين) (سورة الحجر ٣٩ - ٤٠) .

وإنما يتسلط على العباد الذين يرضون بفكره ، ويتابعوه عن رضا وطواعية : (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين) (سورة الحجر / ٤٢) . وفي يوم القيامة يقول الشيطان لأتباعه الذين أضلهم وأهلكهم :(وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي) (سورة إبراهيم / ٢٢) .

وفي الآية الأخرى : (إنّما سلطانه على الذين يتولونه ، والذين هم به مشركون) (سورة النحل / ١٠٠) .

والسلطان هو تسلطه عليهم بالإغواء والاضلال ، وتمكنه منهم ، بحيث يؤزهم على الكفر والشرك ويزعجهم إليه ، ولا يدعهم يتركونه كما قال تعالى : (ألم تر أنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً) (سورة مريم / ٨٣) ، ومعنى تؤزهم : تحركهم وتهيجهم .

وسلطان الشيطان على أوليائه ليس له فيه حجّة وبرهان ، وإنما استجابوا له بمجرد دعوته إياهم ، لما وافقت أهواءهم وأغراضهم ، فهم الذين أعانوا على أنفسهم ، ومكنوا عدوهم من سلطانه عليهم بموافقته ومتابعته ، فلما أعطوا بأيديهم ، واستأسروا له سُلِّطَ عليهم عقوبةً لهم . فالله لا يجعل للشيطان على العبد سلطانا ، حتى يجعل له العبد سبيلاً إليه بطاعته والشرك به ، فجعل الله حينئذ له عليه تسلطا وقهرا .

وقد يسلط على المؤمنين بسبب ذنوبهم :

ففي الحديث « إن الله ـ تعالى ـ مع القاضي ما لم يَجُر ، فإذا جار تبرأ منه ، وألزمه الشيطان » رواه الحاكم ، والبيهقي بإسناد حسن (انظر صحيح الجامع ٢/١٣٠) .

ويروي لنا أبو الفرج ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ عن الحسن البصري ـ رحمه الله ـ قصة طريفة ، وبغض النظر عن مدى صحتها إلا أنها تصور قدرة الإنسان على قهر الشيطان إذا أخلص دينه لله ، وكيف يصرع الشيطان الإنسان؟ إذا ضل وزاغ ، يقول الحسن : كانت شجرة تعبد من دون الله ، فجاء إليها رجل ، فقال : لأقطعن هذه الشجرة ، فجاء ليقطعها غضباً لله ، فلقيه إبليس في صورة إنسان ، فقال : ما تريد؟ قال : أريد أن أقطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله ، قال إذا أنت لم تعبدها فما يضرك من عبدها ؟ قال : لأقطعنها . فقال له الشيطان : هل لك فيما هو خير لك ؟ لا تقطعها ، ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادتك . قال : فمن أين لي ذلك ؟ قال أنالك . فرجع ، فأصبح فوجد دينارين عند وسادته ، ثمَّ أصبح بعد ذلك ، فلم يجد شيئاً . فقام غضباً ليقطعها ، فتمثل له الشيطان في صورته ، وقال : ما تريد؟ قال : أريد قطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله تعالى . قال : كذبت ، مالك إلى ذلك من سبيل ، فذهب ليقطعها ، فضرب به الأرض ، وخنقه حتى كاد يقتله ، قال : أتدري من أنا ؟ أنا الشيطان ، جئت أول مرة غضباً لله ، فلم يكن لي عليك سبيل ، فخدعتك بالدينارين ، فتركتها ، فلما جئت غضباً للدينارين سلطت عليك) (تلبيس إبليس ٤٣) .

وقد حدثنا الله في كتابه عن شخص آتاه الله آياته ، فعلمها ، وعرفها ، ثمّ إنه ترك ذلك كله ، فسلط الله عليه الشيطان ، فأغواه ، وأضله ، وأصبح عبرة تروى ، وقصة تتناقل (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا ، فانسلخ منها ، فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنَّه أخلد إلى

الأرض ، واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) (سورة الأعراف / ١٧٥ ـ ١٧٦) . وواضح أن هذا مثل لمن عرف الحق وكفر به كاليهود الذين يعلمون أن محمداً مرسل من ربه ، ثم هم يكفرون به .

اما هذا الذي عناه الله هنا ، فقال بعضهم : هوَ بلعام بن باعورا ، كان صالحاً ثم كفر ، وقيل : هو أمية بن أبي الصلت من المتألهين في الجاهلية ، أدرك الرسول ـ ﷺ ـ ولم يؤمن به حسدا ، وكان يرجو أن يكون هو النبي المبعوث ، وليس عندنا نص صحيح يعرفنا بالمراد من الآية على وجه التحديد . وهذا الصنف (الذي يؤتي الآيات ثم يكفر) صنف خطر به شَبَه من الشيطان ، لأنَّ الشيطان كفر بعد معرفته الحق ، ولقد تخوف الرسول ـ ﷺ ـ هذا النوع على أمته ، روى الحافظ أبو يعلى عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ـ ﷺ : (إن مما أتخوف عليكم رجل قرأ القرآن حتى إذا رئيت بهجته عليه ، وكان رداؤه الإسلام اعتراه إلى ما شاء الله انسلخ منه ونبذه وراء ظهره وسعى على جاره بالسيف ورماه بالشرك) قال : قلت يا رسول الله : أيهما أولى بالسيف : الرامي أم المرمي ؟ قال (بل الرامي) قال ابن كثير : وهذا إسناد جيد (انظر تفسير ابن كثير ٣ / ٢٥٢) .

خوف الشيطان وهربه من بعض عباد الله :

إذا تمكن العبد في الإسلام ، ورسخ الإيمان في قلبه ، وكان وقّافاً عند حدود الله فإنَّ الشيطان يفرق منه ، ويفرُّ منه ، كما قال الرسول ـ ﷺ ـ لعمر بن الخطاب : (إن الشيطان ليفرق منك يا عمر) ، رواه أحمد ، والترمذي ، وابن حبان بإسناد صحيح (صحيح الجامع ٢ / ٧٤) . وقال فيه أيضا : « إني لأنظر شياطين الجن والإنس فرُّوا من عمر » ، رواه الترمذي

بإسناد صحيح ، (صحيح الجامع ٢ / ٣٢٩) .

وليس ذلك خاصاً بعمر ، فإن من قوى إيمانه يقهر شيطانه ، ويذله ، كما في الحديث : (إن المؤمن لينصي شيطانه كما ينصي أحدكم بعيره في السفر) ، رواه أحمد ، قال ابن كثير في (البداية ١ / ٧٣) بعد سوقه لهذا الحديث : (ومعنى لينصي شيطانه : ليأخذ بناصيته ، فيغلبه ، ويقهره ، كما يفعل بالبعير إذا شرد ثم غلبه) .

وقد يصل الأمر أن يؤثر المسلم على قرينه الملازم له فيسلم ، أخرج الامام أحمد في مسنده ، ومسلم في صحيحه عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : (ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن ، وقرينه من الملائكة) قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : (وإياي ، ولكن الله أعانني عليه فلا يأمرني إلا بخير) .

وفي رواية ابن عباس عن الامام أحمد باسناد على شرط الصحيح : (ولكن الله أعانني عليه فأسلم) . وفي رواية عائشة عن مسلم (ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم) .

تسخير الجن لسليمان :

سخر الله لنبيه سليمان في جملة ما سخر الجن ، والشياطين ، يعملون له ما يشاء ، ويعذب ويسجن العصاة منهم : (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين في الأصفاد) (سورة ص / ٣٦ - ٣٨)

وقال في سورة سبأ : (ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ، ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ، يعملون له ما يشاء من محاريب ، وتماثيل ، وجفان كالجواب ، وقدور راسيات) ، (سورة سبأ ١٢ ـ ١٣) .

وهذا التسخير على هذا النحو استجابة من الله لعبده سليمان عندما دعاه

وقال : (وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) (سورة ص / ٣٥) .
وهذه الدعوة هي التي منعت نبينا محمد ـ ﷺ ـ من ربط الجنى الذي جاء بشهاب من نار ، يريد أن يرميه في وجهه ، ففي صحيح مسلم عن أبي الدرداء قال : قام رسول الله ـ ﷺ ـ يصلي ، فسمعناه يقول : « أعوذ بالله منك » ، ثم قال : (ألعنك بلعنة الله ثلاثا) ، وبسط يده كأنه يتناول شيئاً ، فلما فرغ من الصلاة قلنا : يا رسول الله ! قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً ، لم نسمعك تقوله قبل ذلك ، ورأيناك بسطت يدك ، فقال : (إن عدوَّ الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي ، فقلت : أعوذ بالله منك ثلاث مرات ، ثم قلت : ألعنك بلعنة الله التامة ، فلم يستأخر ، ثم أردت أخذه ، والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة) .
وقد تكرر هذا أكثر من مرة ففي صحيح مسلم أيضاً عن أبي هريرة أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : (إن عفريتاً من الجن جعل يتفلت علي البارحة ليقطع عليَّ الصلاة ، وإن الله أمكنني منه ، فذعته ، فلقد هممت أن أربطه إلى جنب سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا تنظرون إليه أجمعون ، أو كلكم ، ثمَّ ذكرت قول أخي سليمان رب اغفر لي ، وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي ، فرده الله خاسئاً) .

كذب اليهود على سليمان :

يزعم اليهود وأتباعهم الذين يستخدمون الجن بواسطة السحر أن نبي الله سليمان كان يستخدم الجنَّ به ، وقد ذكر غير واحد من علماء السلف أن سليمان لما مات كتبت الشياطين كتب سحر وكفر ، وجعلتها تحت كرسيه ، وقالوا : كان سليمان يستخدم الجن بهذه ، فقال بعضهم : لولا أن هذا حق جائز لما فعله سليمان ، فأنزل الله قوله :(ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون) (سورة البقرة / ١٠١) ثم بين أنهم اتبعوا ما كانت تتلوه الشياطين

على عهد ملك سليمان وبرأ سليمان من السحر والكفر : ﴿واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ... الآية ﴾ (سورة البقرة / ١٠٢) .

عجزهم عن الاتيان بالمعجزات :

لا تستطيع الجن الاتيان بمثل المعجزات التي جاءت بها الرسل تدليلاً على صدق ما جاءت به .

فعندما زعم بعض الكفرة أن القرآن من صنع الشياطين قال تعالى : (وما تنزلت به الشياطين ، وما ينبغي لهم وما يستطيعون ، إنهم عن السمع لمعزولون) (سورة الشعراء / ٢١٠ - ٢١٢) .

وتحدى الله بالقرآن الإنس والجن : (قل : لئن اجتمعت الإنس والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (سورة الإسراء / ٨٨) .

لا يتمثلون بالرسول ﷺ في الرؤيا :

والشياطين تعجز عن التمثل في صورة الرسول - ﷺ - في الرؤيا : ففي الحديث الذي يرويه الترمذي في سننه بإسناد صحيح : (من رآني فإني أنا هو ، فإنه ليس للشيطان أن يتمثل بي) .

وهو في الصحيحين بلفظ : (من رآني فقد رأي الحق ، فإن الشيطان لا يتزيّا بي) ، (الجامع الصحيح ٥ / ٢٩٣) .

والظاهر من الأحاديث أن الشيطان لا يتزيّا بصورة الرسول - ﷺ - الحقيقية ، ولا يمنعه هذا من التمثل في غير صورة الرسول - ﷺ - والزعم بأنّه رسول الله .

ولذلك فلا يجوز أن يحتج بهذا الحديث على أن كل من رأى الرسول

- ﷺ - في المنام أنّه رآه حقًّا ، إلا إذا كانت صفته هي الصفة التي روتها لنا كتب الحديث . وإلا فكثير من الناس يزعم أنّه رآه على صورة مخالفة للصورة المروية في كتب الثقات .

لا يستطيعون أن يتجاوزوا حدوداً معينة في أجواز الفضاء :

قال تعالى: (يا معشر الجن والإنس ، إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا ، لا تنفذون إلا بسلطان ، فبأيٍّ آلاء ربكما تكذبان ، يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس ، فلا تنتصران) (سورة الرحمن ٣٣ - ٣٥) .

فمع قدراتهم وسرعة حركتهم لهم مجالات لا يستطيعون أن يتعدوها ، وإلا فإنهم هالكون .

لا يستطيعون فتح باب أغلق وذكر اسم الله عليه :

أخبر بذلك الرسول - ﷺ - حيث يقول : (أجيفوا الأبواب ، واذكروا اسم الله عليها ؛ فإن الشيطان لا يفتح باباً أجيف عليه) رواه أبو داود ، وأحمد ، وابن حبان ، والحاكم ، باسناد صحيح (الجامع الصحيح ١ / ٢٢٩) .

وفي الحديث المتفق عليه : (فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقا ، وأوكُوا قربكم ، واذكروا اسم الله ، وخمروا آنيتكم ، واذكروا اسم الله ، ولو أن تعرضوا عليها شيئاً ، وأطفئوا مصابيحكم) .

(الجامع الصحيح ١ / ٢٧٠) .

وفي مسند أحمد : (أغلقوا أبوابكم ، وخمروا آنيتكم ، وأوكوا أسقيتكم ، وأطفئوا سرجكم ، فإنَّ الشيطان لا يفتح باباً مغلقا ، ولا يكشف غطاءً ، ولا يحلُّ وكاءً) .

الفَصْلُ الثَّانِي

الجِنُّ مُكَلَّفُونَ

الغاية من خلقهم

خلق الجن للغاية نفسها التي خلق الإنس من أجلها : (وما خَلقت الجنَّ والإنس إلا ليعبدون) (سورة الذاريات / ٥٦) .

فالجنُّ على ذلك مكلفون بأوامر ونواهي ، فمن أطاع رضي الله عنه وأدخله الجنة ، ومن عصى وتمرد فله النار ، يدل على ذلك نصوص كثيرة .

ففي يوم القيامة يقول الله مخاطباً كَفَرَة الجن والإنس موبخاً مبكتاً : (يا معشر الجن والإنس ، ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا ، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) (سورة الأنعام / ١٣٠) ففي هذه الآيات دليل على بلوغ شرع الله الجن ، وأنه قد جاءهم من ينذرهم ويبلغهم .

والدليل على أنهم سيعذبون في النار قوله تعالى : (قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجنِّ والإنس في النار) (سورة الاعراف / ٣٨) وقال (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس) سورة الأعراف / ١٧٩) . وقال (لأملان جهنّم من الجنة والناس أجمعين) (سورة السجدة / ١٣) والدليل على أن المؤمنين من الجن يدخلون الجنة قوله تعالى :(ولمن خاف مقام ربِّه جنتان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان) (سورة الرحمن / ٤٦ ـ ٤٧) .

والخطاب هنا للجن والإنس لأن الحديث في مطلع السورة معهما وفي الآية السابقة امتنان من الله على مؤمني الجن بأنهم سيدخلون الجنة ولولا أنهم ينالون ذلك لما امتن عليهم به . يقول ابن مفلح في كتابه الفروع : (الجن مكلفون في الجملة إجماعاً ، يدخل كافرهم النار إجماعاً ، ويدخل مؤمنهم

الجنة وفاقاً لمالك والشافعي رضي الله عنهما ، لا أنهم يصيرون تراباً كالبهائم ، وإن ثواب مؤمنهم النجاة من النار خلافاً لأبي حنيفة ، والليث بن سعد ومن وافقهما » قال : وظاهر الأول أنهم في الجنة كغيرهم بقدر ثوابهم ، خلافاً لمن قال لا يأكلون ولا يشربون فيها كمجاهد ، أو أنهم في ربض الجنّة ، أي حول الجنة كعمر بن عبد العزيز ، قال ابن حامد في كتابه : « الجن كالإنس في التكليف والعبادات » (لوامع الأنوار ٢ / ٢٢٢ - ٢٢٣) .

تكليفهم بحسبهم :

يقول ابن تيمية (مجموع الفتاوى ٤ / ٢٣٣) : « الجن مأمورون بالأصول والفروع بحسبهم ، فإنهم ليسوا مماثلين للإنس في الحدّ والحقيقة ، فلا يكون ما أمروا به ونهوا عنه مساوياً لما على الإنس في الحدّ ، لكنهم مشاركون الإنس في جنس التكليف بالأمر والنهي ، والتحليل والتحريم ، وهذا ما لم أعلم فيه نزاعاً بين المسلمين » .

شبهة وجوابها :

يورد بعض الناس شبهة فيقولون : أنتم تقررون أن الجن خلقوا من نار ، ثمَّ تقولون إن كافرهم يعذب في نار جهنم ، ومسترق السمع منهم يقذف بشهب من نار ، فكيف تؤثر النار فيهم وقد خلقوا منها ؟

والجواب أنَّ الأصل الذي خلقوا منه النار ، أمّا بعد خلقهم فليسوا كذلك ، إذ أصبحوا خلقاً مخالفاً للنار ، يوضح هذا أن الإنسان خلق من تراب ، ثم بعد إيجاده أصبح مخالفاً للتراب ، ولو ضربت إنساناً بقطعة مشوية من الطين فقد تقتله ولو رميته بالتراب لآذاه ، ولو دفنته فيه فإنه يختنق ، فمع أنه من تراب إلا أن التراب يؤذيه ، فكذلك الجن .

لا نسب بين الجن ورب العزة :

هذا الذي ذكرناه من أن الجن خلق من خلق الله ، وعباد من جملة عباده ،

خلقهم لطاعته ، وكلفهم بشرعته ، يقضي على الخرافات التي تنشأ عن الانحراف في التصور ، وعن ضمور العلم وكثرة الجهل ، فمن ذلك ما شاع عند اليهود ومشركي العرب ، من أن الله ـ تعالى وتقدس ـ خطب من سروات الجنِّ وتزوج منهم ، وكان الملائكة ثمرة هذا الزواج ، وقد حكى الله هذه الخرافة وبين بطلانها (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ، ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون ، سبحان الله عما يصفون إلا عباد الله المخلصين) (سورة الصافات ١٥٨ ـ ١٦٠) قال ابن كثير عند تفسير هذه الآيات : (قال مجاهد : قال المشركون : الملائكة بنات الله ـ تعالى عما يقولون ـ فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فمن أمهاتهنَّ ؟ قالوا : بنات سروات الجنِّ ، وبمثل قول مجاهد قال قتادة وابن زيد . . . وقال العوفي عن ابن عباس : « زعم أعداء الله أنّه ـ تبارك وتعالى ـ هو وإبليس أخوان تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً » .

كيف يبلَّغون وحي الله إليهم ؟

بما أنهم مكلفون فلا بدَّ أن يبلغهم الله وحيه ويقيم عليهم الحجة ، فكيف حصل ذلك ؟ هل لهم رسل منهم كما للبشر رسل منهم ، أم أن رسلهم هم رسل البشر ؟ .

إن قوله تعالى : (يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم ... ؟) (سورة الأنعام / ١٣٠) يَدلُّ على أن الله أرسل إليهم رسلاً ، ولكنها لم تصرح بأن هؤلاء الرسل من الجِن أو من الإنس ؛ لأن قوله (منكم) يحتمل كلا الأمرين ؛ فقد يكون المراد أن رسل كل جنس منهم ، وقد يراد أن رسل الإنس والجن من مجموع الجنسين فيصدق على أحدهما وهم الإنس . وقد اختلف العلماء في ذلك على قولين ، الأول : أن للجن رسلا منهم ، وممن قال بهذا القول الضحاك ، وقال ابن الجوزي : وهو ظاهر الكلام . وقال ابن حزم لم يبعث إلى الجن نبي من الإنس البتَّة قبل محمد ﷺ .

الثاني : أن رسل الجن من الإنس قال السيوطي في (لقط المرجان) : (جمهور العلماء سلفاً وخلفاً على أنّه لم يكن من الجن قط رسول ولا نبي كذا روي عن ابن عباس ومجاهد والكلبي وأبي عبيد) .

(لوامع الأنوار ٢ / ٢٢٣ ـ ٢٢٤)

ومما يرجح أن رسل الإنس هم رسل الجن قول الجن عند سماع القرآن : (إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى) (سورة الأحقاف / ٣٠) ولكنه ليس نصاً في المسألة .

وهذه المسألة لا يبنى عليها عمل ، وليس فيها نص قاطع ، ولذلك لا ينبغي أن نطيل فيها أكثر من ذلك .

عموم رسالة محمد ـ ﷺ ـ الإنس والجن :

محمد ـ ﷺ ـ مرسل إلى الجنّ والإنس ، يقول ابن تيمية (مجموع الفتاوى ١٩ / ٩):(وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين ، وسائر طوائف المسلمين : أهل السنة والجماعة ، وغيرهم ـ رضي الله عنهم ـ أجمعين) يدل على ذلك تحدي القرآن الجن والإنس .

(قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) (سورة الاسراء/٨٨) . وقد سارع فريق من الجن إلى الإيمان عندما استمعوا القرآن (قل أوحي إليَّ أنّه استمع نفر من الجنّ ، فقالوا : إنا سمعنا قرآنا عجباً ، يهدي إلى الرشد فآمنا به ، ولن نشرك بربنا أحداً . . .) (سورة الجن/١ ـ ٢) .

وهؤلاء الذين استمعوا القرآن وآمنوا هم المذكورون في سورة الأحقاف : (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجنّ يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا : أنصتوا ، فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين ، قالوا : يا قومنا إنّا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه ، يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ،

يا قومنا أجيبوا داعي الله ، وآمنوا به ، يغفر لكم من ذنوبكم ، ويجركم من عذاب أليم ، ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض ، وليس له من دونه أولياء ، أولئك في ضلال مبين) (سورة الأحقاف / ٢٩ ـ ٣٢) استمعوا للقرآن ، وآمنوا به ، ورجعوا دعاة يدعون قومهم إلى التوحيد والإيمان ، ويبشرونهم وينذرونهم .

وقصة هؤلاء الذين استمعوا للرسول ـ ﷺ ـ يرويها البخاري ومسلم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : « انطلق رسول الله ـ ﷺ ـ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : ما لكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب . قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، وانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها يبتغون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء .. ، فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وهو بنخلة عامداً إلى سوق عكاظ ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن ـ قالوا : استمعوا له ، فقالوا : هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فهنالك حين رجعوا إلى قومهم وقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به .

وأنزل الله على نبيّه (قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن) (سورة الجن / ١) وإنما أوحي إليه قول الجن .

وفود الجن :

تلك كانت بداية معرفة الجنّ برسالة محمد ﷺ ، استمعوا لقراءة القرآن بدون علم الرسول ﷺ ، فآمن فريق منهم وانطلقوا دعاة هداة .

ثمَّ جاءت وفود الجنّ بعد ذلك تتلقى العلم من الرسول ﷺ ،

وأعطاهم الرسول ـ ﷺ ـ من وقته ، وعلمهم مما علمه الله ، وقرأ عليهم القرآن ، وبلغهم خبر السماء ... وكان ذلك في مكة قبل الهجرة ؛ روى مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده عن علقمة قال : قلت لعبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : هل صحب رسول الله ـ ﷺ ـ ليلة الجنِّ منكم أحد ؟ فقال : ما صحبه منا أحد ، ولكنّا فقدناه ذات ليلة بمكة ، فقلنا : اغتيل ؟ استطير ؟ ما فعل ؟ قال : فبتنا بشر ليلة بات بها قوم ، فلما كان وجه الصبح ـ أو قال ـ في السحر إذا نحن به يجيء من قبل حراء ، فقلنا يا رسول الله ، فذكروا له الذي كانوا فيه ، فقال : « إنَّه أتاني داعي الجن فأتيتهم فقرأت عليهم » قال : فانطلق ، فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وفي رواية عن الطبري عن ابن مسعود : « بتُّ الليلة أقرأ على الجنِّ واقفاً بالحجون » .

ومما قرأه عليهم ـ ﷺ ـ سورة الرحمن ، يقول ﷺ : « لقد قرأتها (يعني سورة الرحمن) على الجنِّ ليلة الجن ، فكانوا أحسن مردوداً منكم ، كنت كلما أتيت على قوله : (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟) قالوا : ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب ، فلك الحمد » رواه البزار والحاكم وابن جرير بإسناد صحيح (الجامع الصحيح ١ / ٣٠) .

ولم تكن تلك الليلة هي الليلة الوحيدة بل تكرر لقاؤه ـ ﷺ ـ بالجنّ بعد ذلك ، وقد ساق ابن كثير في تفسير سورة الأحقاف ـ الأحاديث التي وردت بشأن اجتماعه ﷺ بالجن ، وفي بعضها أن ابن مسعود كان قريباً من الرسول ـ ﷺ ـ في إحدى تلك الليالي .

ـ وقد ورد في بعض الروايات في صحيح البخاري أن بعض الجن الذين أتوه كانوا من ناحية من نواحي اليمن من مكان يسمى (نصيبين) ، فقد روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي ـ ﷺ ـ قال : « أتاني وفد نصيبين ـ ونعم الجن ـ فسألوني الزاد ، فدعوت الله لهم ألا يمروا بعظم ولا روثة إلا وجدوا عليها طعاماً » .

دعوتهم للإنس :

وفي بعض الأحاديث الصحاح أنَّ بعض الجن كان له دور في هداية الإنس ، ففي صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب سأل رجلا كان كاهناً في الجاهلية عن أعجب ما جاءته به جنيته . قال : « بينما أنا يوماً في السوق جاءتني أعرف فيها الفزع فقالت :

ألم تــر الجــنَّ وإبْلاسهــا ويأْسهــا بعــد إنْكاسهــا
ولحقوها بالقلاص وأحْلاسها[1]

قال عمر ـ رضي الله عنه ـ صدق ، بينما أنا نائم عند آلهتهم إذ جاء رجل بعجل ، فذبحه ، فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً قط أشد صوتاً منه ، يقول : يا جليح ، أمر نجيح ، رجل فصيح ، يقول : لا إله إلا الله ، قال : فوثب القوم ، فقلت : لا أبرح حتى أعلم علم ما وراء هذا ، ثم نادى : يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول : لا إله إلا الله ، فقمت فما نشبنا أن قيل هذا نبي » .

قال ابن كثير في تفسير سورة الأحقاف بعد أن ساق هذا الحديث : « هذا سياق البخاري ، وقد رواه البيهقي من حديث ابن وهب بنحوه ، ثم قال : وظاهر هذه الرواية يوهم أن عمر ـ رضي الله عنه ـ بنفسه سمع الصارخ يصرخ من العجل الذي ذبح ، وكذلك هو صريح في رواية ضعيفة عن عمر رضي الله عنه ، وسائر الروايات تدل على أن الكاهن هو الذي أخبر بذلك عن رؤيته وسماعه ، والله أعلم ، ثم قال : وهذا الرجل (الكاهن) هو سواد بن قارب » .

أمرهم بالخير وشهادتهم للمسلم :

سيأتي الحديث الذي يخبر فيه الرسول ـ ﷺ ـ بأن قرينه من الجن أسلم

---

(١) الإبلاس : اليأس ، والحزن ، والانكسار . والأنكاس : الضعف ، والهوان ؛ والقلاص : جمع قلوص ، وهي الناقة الشابة ، والحلس : ما يوضع فوق ظهر الدابة كالسرج .

فلا يأمره إلا بخير .

وقد قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه لأبي صعصعة الأنصاري : (إني أراك تحب البادية والغنم ، فإذا كنت في غنمك وباديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء ، فإنّه لا يسمع مدى صوت المؤذن جنٌّ ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة) ، قال أبو سعيد : سمعته من رسول الله ﷺ (رواه البخاري) . فقد أخبر أن الجن يشهدون يوم القيامة لمن يسمعون صوت أذانه .

مراتبهم في الصلاح والفساد :

وهم في هذا طوائف : فمنهم الكامل في الاستقامة والطيبة وعمل الخير ، ومنهم من هو دون ذلك ، ومنهم البله المغفلون ، ومنهم الكفرة ، وهم الكثرة الكاثرة ، يقول الله سبحانه في حكايته عن الجن الذين استمعوا إلى القرآن : (وأنا منّا الصالحون ومنّا دون ذلك كنّا طرائق قِدَدا) (سورة الجن / ١١) ، أي منهم الكاملون في الصلاح ، ومنهم أقل صلاحاً ، فهم مذاهب مختلفة كما هو حال البشر .

ويقول الله عنهم : (وأنا منا المسلمون ، ومنا القاسطون ، فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً ، وأمّا القاسطون فكانوا لجهنّم حطبــاً) (سورة الجن ١٤ ـ ١٥) ، أي أن منهم المسلمين ، والظالمين أنفسهم بالكفر ، فمن أسلم منهم فقد قصد الهدى بعمله ، ومن ظلم نفسه فهو حطب جهنم .

طبيعة الشيطان :

أعطى الله الجن القدرة على الإيمان والكفر ، ولذلك كان الشيطان عابداً مع الملائكة ثم كفر .

فلما تحول إلى الكفر ورضي به أصبح محباً للشر طالباً له ، يتلذذ بفعله والدعوة إليه ، ويحرص عليه بمقتضى خبث نفسه ، وإن كان موجباً لعذابه .

(قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين) . (سورة ص/ ٨٢ ، ٨٣) .

وهذا يكون في الإنسان ، فالإنسان إذا فسدت نفسه أو مزاجه يشتهي ما يضره ، ويلتذ به ، بل يعشق ذلك عشقاً يفسد عقله ودينه وخلقه وبدنه وماله ، وحسبك أن تتأمل في حال شارب الخمر والدخان ، فإن هذين يقتلان شاربيهما ، ويفتكان بهما ، ولا يستطيعان منهما خلاصاً إلا بشق الأنفس .

هل يسلم الشيطان ؟

يظهر من الحديث [1] أن الشيطان يمكن أن يسلم بدليل أن شيطان الرسول - ﷺ - أسلم ، إلا أن بعض العلماء يرفض ذلك ويقول الشيطان لا يكون مؤمناً ، منهم شارح الطحاوية (ص ٤٣٩) ووجه قوله : (فأسلم) أي فانقاد واستسلم .

وبعض العلماء يرى أن الرواية (فأسلمُ) برفع الميم ، أي فأنا أسلمُ منه ، ومع أن شارح الطحاوية يرى أنّ رواية الرفع تحريف للفظ إلا أن النووي في شرحه على مسلم قال : « هما روايتان مشهورتان » وعزى إلى الخطابي أنّه رجح رواية الضم .

وممن يرى أن الشيطان يمكن أن يسلم ابن حبان ، قال معلقاً على الحديث : (في هذا الخبر دليل على أن شيطان المصطفى - ﷺ - أسلم حتى أنّه لم يكن يأمره إلا بخير ، إلا أنّه كان يسلم منه وإن كان كافراً) .

وما ذهب إليه شارح الطحاوية من أنَّ الشيطان لا يكون إلا كافراً فيه نظر ، فإن كان يرى أن الشيطان لا يطلق إلا على كافر الجن فهذا صحيح ، وإن كان يرى أن الشيطان لا يمكن أن يتحول إلى الإسلام فهو بعيد جدّاً ، والحديث حجّة عليه .

---

(١) سيأتي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يخبر فيه أن الله أعانه على شيطانه فأسلم فلا يأمره إلا بخير ، انظر ص (٦٥)

الفصل الثالث

العداء بين الانسان والشيطان

أسباب العداء وتاريخه وشدّة هذا العداء :

العداء بين الإنسان والشيطان عداء بعيد الجذور ، يعود تاريخه إلى اليوم الذي شكل الله فيه آدم قبل أن ينفخ فيه الروح ، فأخذ الشيطان يطيف به ، ويقول : لئن سلطت عليَّ لأعصينك ، ولئن سلطت عليك لأهلكنك .

ففي صحيح مسلم عن أنس أنَّ رسول الله ﷺ قال : « لما صوَّر الله آدم في الجنة ، تركه ما شاء الله أن يتركه ، فجعل إبليس يُطيف به ، ينظر ما هو ، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقاً لا يتماسك » .

فلما نفخ الله في آدم الروح ، وأمر الملائكة بالسجود لآدم ، وكان إبليس يتعبد الله مع ملائكة السماء فشمله الأمر ، ولكنه تعاظم في نفسه واستكبر ، وأبى السجود لآدم : (قال أنا خير منه ، خلقتني من نار ، وخلقته من طين)

لقد فتح أبونا آدم عينيه ، فإذا به يجد أعظم تكريم ، يجد الملائكة ساجدين له ، ولكنَّه يجد عدواً رهيباً يتهدده وذريته بالهلاك والإضلال .

وطرد الله الشيطان من جنة الخلد بسبب استكباره ، وحصل على وعد من الله بإبقائه حيّا إلى يوم القيامة : (قال فأنظرني إلى يوم يبعثون ، قال إنك من المنظرين) (سورة الأعراف / ١٤ ـ ١٥) وقد قطع اللعين على نفسه عهداً بإضلال بني آدم والكيد لهم : (قال فبما أغويتني لأقعدنَّ لهم صراطك المستقيم ، ثمَّ لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين) (سورة الأعراف / ١٦ ـ ١٧) . وقوله هذا يصور مدى الجهد الذي يبذله لإضلال ابن آدم ، فهو يأتيه من كل طريق ممكن ، عن اليمين والشمال ، ومن الأمام والخلف ، أي من جميع الجهات قال الزمخشري :

في تفسير هذه الآية : « ثم لآتينهم من الجهات الأربع التي يأتي منها العدو في الغالب ، وهذا مثل لوسوسته إليهم ، وتسويله لهم ما أمكنه وقدر عليه ، كقوله : (واستفزز من استطعت منهم بصوتك ، وأجلب عليهم بخيلك ورجِلك) . (سورة الإسراء / ٦٤) .

تحذير الله لنا من الشيطان :

وقد أطال القرآن في تحذيرنا من الشيطان لعظيم فتنته ، ومهارته في الإضلال ، ودأبه وحرصه على ذلك . قال تعالى : (يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان ...) (سورة الأعراف / ٢٧) .

وقال : (إن الشيطان لكم عدو ، فاتخذوه عدواً) (سورة فاطر / ٦) وقال : (ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً) (سورة النساء / ١١٩) .

وعداوة الشيطان لا تحول ولا تزول ؛ لأنَّه يرى أنَّ طرده ولعنه وإخراجه من الجنة كان بسبب أبينا آدم ، فلا بدَّ أن ينتقم من آدم وذريته من بعده : (قال : أرأيتك هذا الذي كرمت عليَّ ، لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته ، إلا قليلاً) (سورة الإسراء / ٦٢) .

وأرباب السلوك وعلماء الأخلاق اعتنوا بذكر النفس وعيوبها وآفاتها وقصَّروا في التعرف على عدوهم اللدود ، مع أنَّ الله حذرنا منه كثيراً ، وأمرنا بالاستعاذة منه ، ولم يأمر بالاستعاذة من النفس في موضع واحد ، وإنَّما جاءت الاستعاذة من شرها في خطبة الحاجة في قوله ﷺ : « ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا » .

أهداف الشيطان

الهدف البعيد :

هناك هدف وحيد يسعى الشيطان لتحقيقه في نهاية الأمر ، هو أن يلقي الإنسان في الجحيم ، ويحرمه من الجنّة ، (إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) (سورة فاطر / ٦)

الأهداف القريبة

ذلك هو هدف الشيطان البعيد ، أمّا الأهداف القريبة فهي :

١ ـ إيقاع العباد في الشرك والكفر :

وذلك بدعوتهم إلى عبادة غير الله والكفر بالله وشريعته : (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر ، فلما كفر ، قال : إني بريء منك) (سورة الحشر / ١٦) .

وروى مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار أن النبي ـ ﷺ ـ خطب ذات يوم ، فقال في خطبته : (يا أيها الناس ، إن الله تعالى أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علّمني في يومي هذا ، إن كل مامنحته عبدي فهو له حلال . وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، فأتتهم الشياطين ، فاجتالتهم عن دينهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً) .

٢ ـ إذا لم يستطع تكفيرهم فيوقعهم في الذنوب :

فإذا لم يستطع إيقاعهم في الشرك والكفر ، فإنه لا ييئس ، ويرضى بما دون ذلك من إيقاعهم في الذنوب والمعاصي ، وغرس العداوة والبغضاء في صفوفهم ، ففي سنن الترمذي وابن ماجه بإسناد حسن (ألا إن الشيطان قد أيس أن يعبد في بلدكم هذا أبداً ، ولكن ستكون له طاعة في بعض ما

تحقرون من أعمالكم ، فيرضى بها) . وفي صحيح البخاري وغيره : « إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم » . أي بإيقاع العداوة والبغضاء بينهم ، وإغراء بعضهم ببعض ، كما قال تعالى : (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ؟) . (سورة المائدة / ٩١)

وهو يأمر بكل شر (إنما يأمُركم بالسوء والفحشاء ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) ، (سورة البقرة / ١٦٩) .

وخلاصة الأمر فكل عبادة محبوبة لله فهي بغيضة إلى الشيطان ، وكل معصية مكروهة للرحمن فهي محبوبة للشيطان .

٣ ـ صدّه العباد عن طاعة الله :

وهو لا يكتفي بدعوة الناس إلى الكفر والذنوب والمعاصي بل يصدهم عن فعل الخير ، فلا يترك سبيلاً من سبل الخير يسلكه عبد من عباد الله إلا قعد فيه ، يصدُّهم ويميل بهم ، ففي الحديث : (إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه ، فقعد له بطريق الإسلام فقال : تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء آبائك ؟ ! فعصاه فأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة ، فقال : تهاجر وتدع أرضك وسماءك ؟ وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول ، (الطول: الحبل الطويل ، يشد أحد طرفيه في وتد أو غيره ، والطرف الآخر في يد الفرس ليدور فيه ، ويرعى ولا يذهب لوجهه) . فعصاه فهاجر . ثم قعد له بطريق الجهاد ، فقال : تجاهد فهو جهد النفس والمال ، فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال ؟ ! فعصاه فجاهد ، فمن فعل ذلك كان حقًّا على الله أن يدخله الجنّة ، ومن قتل كان حقًّا على الله أن يدخله الجنّة ،

وإن غرق كان حقًا على الله أن يدخله الجنة ، وإن وقصته دابته كان حقًا على الله أن يدخله الجنة) .

رواه أحمد والنسائي وابن حبان بإسناد صحيح (صحيح الجامع ٢ / ٧٢) ومصداق ذلك في كتاب الله ما حكاه الله عن الشيطان أنه قال لرب العزة : (فبما أغويتني لأقعدنَّ لهم صراطك المستقيم ، ثمَّ لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ، ولا تجد اكثرهم شاكرين) (سورة الأعراف / ١٦ ، ١٧) .

وقوله (لأقعدن لهم صراطك) : أي على صراطك ، فهو منصوب بنزع الخافض أو هو منصوب بفعل مضمر ، أي لألزمنّ صراطك ، أو لأرصدَنّه ، أو لأعوجنه .

وعبارات السلف في تفسير الصراط متقاربة ، فقد فسره ابن عباس بأنه الدين الواضح ، وابن مسعود بأنه كتاب الله ، وقال جابر : هو الإسلام ، وقال مجاهد : هو الحق .

فالشيطان لا يدع سبيلاً من سبل الخير إلا قعد فيه يصد الناس عنه .

٤ ـ **إفساد الطاعات** :

إذا لم يستطع الشيطان أن يصدهم عن الطاعات ، فإنه يجتهد في افساد العبادة والطاعة ، كي يحرمهم الأجر والثواب ، فقد جاء أحد الصحابة إلى الرسول ـ ﷺ ـ يقول له : إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي ، يلبسها عليَّ .

فقال رسول الله ﷺ : « ذلك شيطان يقال له : خِنْزِب ، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه . واتفل على يسارك ثلاثا » . قال : ففعلت ذلك ، فأذهبه الله عني رواه مسلم في صحيحه .

فإذا دخل العبد في صلاته أجلب عليه الشيطان يوسوس له ويشغله عن

طاعة الله ويذكره بأمور الدنيا ، ففي صحيح مسلم ـ أن الرسول ﷺ ـ قال : « إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة ، أحال له ضراط ، حتى لا يسمع صوته ، فاذا سكت رجع فوسوس ، فإذا سمع الاقامة ، ذهب حتى لا يسمع صوته ، فإذا سكت رجع فوسوس » رواه مسلم .

وفي رواية : « فإذا قضى التثويب أقبل ، حتى يخطر بين المرء ونفسه ، يقول له : اذكر كذا ، اذكر كذا ، لما لم يكن يذكر من قبل حتى يظلّ الرجل ما يدري كم صلى » رواه البخاري ومسلم .

كل مخالفة للرحمن فهي طاعة للشيطان :

يقول تعالى : (إن يدعون من دونه إلا اناثاً ، وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً ، لعنه الله ، وقال : لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً) . (سورة النساء ١١٧ ـ ١١٨) . فكل من عبد غير الله من صنم أو وثن أو شمس وقمر أو هوى أو إنسان أو مبدأ فهو عابد للشيطان ، رضي أم أبى ؛ لأن الشيطان هو الآمر بذلك والمرغب فيه ، ولذلك فإن عباد الملائكة يعبدون الشيطان في الحقيقة (ويوم يحشرهم جميعاً ، ثم يَقول للملائكة : أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون؟ قالوا : سبحانك ، أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) (سورة سبأ / ٤٠ ـ ٤١) يعني أن الملائكة لم تأمرهم بذلك ، وإنما أمرتهم بذلك الجن ، ليكونوا عابدين للشياطين الذين يتمثلون لهم ، كما يكون للأصنام شياطين .

الخلاصة :

والشيء الذي نخلص إليه أن الشيطان يأمر بكل شرٍّ ، ويحث عليه ، وينهي عن كلِّ خير ، ويخوف منه ؛ كي يرتكب الأول ، ويترك الثاني . كما قال تعالى : (الشيطان يعدكم الفقر ، ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً) . (سورة البقرة / ٢٦٨) . وتخويفه إيانا الفقر بأن يقول :

إن أنفقتم أموالكم افتقرتم ، والفحشاء التي يأمرنا بها : هي كل فعلة فاحشة خبيثة من البخل والزنا وغير ذلك .

٥ ـ الايذاء البدني والنفسي :

كما يهدف الشيطان إلى إضلال الإنسان بالكفر والذنوب ، فإنه يهدف إلى ايذاء المسلم في بدنه ونفسه ، ونحن نسوق بعض ما نعرفه من هذا الإيذاء

أ ـ مهاجمة الرسول ﷺ :

سيأتي الحديث الذي يخبر فيه الرسول ـ ﷺ ـ بمهاجمة الشيطان له ، ومجيء الشيطان بشهاب من نار ليرميه في وجه الرسول ﷺ .

ب ـ الحلم من الشيطان .

للشيطان القدرة أن يري الإنسان في منامه أحلاماً تزعجه وتضايقه بهدف إحزانه وإيلامه .

فقد أخبر الرسول ـ ﷺ ـ أن الرؤى التي يراها المرء في منامه ثلاثة : رؤيا من الرحمن ، ورؤيا تحزين من الشيطان ، ورؤيا حديث نفس (صحيح الجامع ٣ / ١٨٤ ، ١٨٥) وفي صحيح البخاري أن الرسول ﷺ قال : (إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها ، فإنما هي من الله ، فليحمد الله عليها ، وليحدث بها ، وإذا رأى غير ذلك مما يكره ، فإنما هي من الشيطان ، فليستعذ بالله ، ولا يذكرها لأحد ، فإنها لا تضره) .

جـ ـ إحراق المنازل بالنار :

وذلك بواسطة بعض الحيوانات التي يغريها بذلك ، ففي سنن أبي داود وصحيح ابن حبان بإسناد صحيح أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : « إذا نمتم فأطفئوا سُرُجكم ، فإن الشيطان يدلُّ مثل هذه (الفأرة) على هذا (السراج) فيحرقكم » .

د ـ تخبط الشيطان للإنسان عند الموت :

وقد كان الرسول ـ ﷺ ـ يستعيذ من ذلك فيقول : « اللهم إني أعوذ بك من التردي ، والهدم ، والغرق ، والحرق ، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت ، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبراً ، وأعوذ بك من الموت لديغاً » رواه النسائي والحاكم بإسناد صحيح ، (صحيح الجامع ١ / ٤٠٥) .

هـ ـ إيذاؤه الوليد حين يولد :

يقول الرسول ـ ﷺ ـ : « كل بني آدم يمسُّه الشيطان يوم ولدته أمُّه إلا مريم وابنها » ، رواه مسلم ، (صحيح الجامع ٤ / ١٧١) . وفي صحيح البخاري : « كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه بإصبعه حين يولد غير عيسى ابن مريم ، ذهب يطعن ، فطعن في الحجاب » . وفي البخاري أيضاً : « ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد ، فيستهل صارخاً من مس الشيطان ، غير مريم وابنها » . والسبب في حماية مريم وابنها من الشيطان استجابة الله دعاء أم مريم حين ولدتها : « وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » (سورة آل عمران / ٣٦) .

فلما كانت صادقة في طلبها استجاب الله لها فأجار مريم وابنها من الشيطان الرجيم ، وممن أجاره الله أيضاً عمار بن ياسر ، ففي صحيح البخاري أن أبا الدرداء قال : أفيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه ، قال المغيرة : الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه يعني عماراً .

و ـ مرض الطاعون من الجن :

أخبر الرسول ـ ﷺ ـ أن « فناء أمته بالطعن والطاعون ؛ وخز أعدائكم من الجنِّ ، وفي كل شهادة » ، رواه أحمد والطبراني باسناد صحيح (صحيح الجامع ٤ / ٩٠) .

وفي مستدرك الحاكم « الطاعون وخز أعدائكم من الجن ، وهو لكم شهادة » .

ولعلَّ ما أصاب نبيّ الله أيوب كان بسبب الجن كما قال : « واذكر عبدنا أيّوب إذ نادى ربّه أنّي مسَّني الشيطان بِنُصْبٍ وعذاب » ، (سورة ص / ٤١) .

ز ـ بعض الأمراض الأخرى :

قال ﷺ للمرأة المستحاضة : « إنما هذه ركضة من ركضات الشيطان » ، رواه الأربعة باسناد حسن (صحيح الجامع ٣ / ١٩٦) .

ح ـ مشاركته لبني آدم في طعامهم وشرابهم ومساكنهم :

ومن الأذى الذي يجلبه الشيطان للإنسان أنه يعتدي على طعامه وشرابه فيشركه فيهما ، ويشركه في المبيت في منزله ، يكون ذلك منه إذا خالف العبد هدى الرحمن ، أو غفل عن ذكره ، أمّا إذا كان ملتزماً بالهدى الذي هدانا الله إليه ، لا يغفل عن ذكر الله ، فإن الشيطان لا يجد سبيلاً إلى أموالنا وبيوتنا . فالشيطان لا يستحل الطعام إلا إذا تناول منه أحد بدون أن يسمي ، فإذا ذكر اسم الله عليه ، فإنَّه يحرم على الشيطان ، روى مسلم في صحيحه عن حذيفة ، قال : كنا إذا حضرنا مع النبي ـ ﷺ ـ طعاماً لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ـ ﷺ ـ فيضع يده ، وإنّا حضرنا معه مرة طعاماً . فجاءت جارية كأنها تدفع ، فذهبت لتضع يدها في الطعام ، فأخذ رسول الله ـ ﷺ ـ بيدها ، ثم جاء أعرابي كأنما يدفع فأخذ بيده . فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « إن الشيطان ليستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه ، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها ، فأخذت بيدها ، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به ، فأخذت بيده ، والذي نفسي بيده إن يده في يدي مع يدها » .

وقد أمرنا الرسول ـ ﷺ ـ أن نحفظ أموالنا من الشيطان وذلك بإغلاق

الأبواب ، وتخمير الآنية ، وذكر اسم الله ؛ فإن ذلك حرز لها من الشيطان ، يقول ﷺ : « أغلقوا الأبواب ، واذكروا اسم الله ، فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً ، وأوكوا قربكم ، واذكروا اسم الله ، وخمروا آنيتكم ، واذكروا اسم الله ، ولو أن تعرضوا عليها شيئاً ، واطفئوا مصابيحكم » رواه مسلم .

ويأكل الشيطان ويشرب مع الإنسان إذا أكل أو شرب بشماله ، وكذلك إذا شرب واقفاً ، ففي مسند أحمد عن عائشة عن رسول الله - ﷺ - أنه قال : « من أكل بشماله أكل معه الشيطان ، ومن شرب بشماله شرب معه الشيطان » .

وفي المسند أيضاً عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - رأى رجلا يشرب قائماً ، فقال له : « قه » ، قال : لم ؟ قال : « أيسرك أن يشرب معك الهر ؟ » قال : لا ، قال : « فإنه قد شرب معك من هو شرٌّ منه الشيطان » .

وكي تطرد الشياطين من المنزل لا تنسى أن تذكر اسم الله عند دخول المنزل ، وقد أرشدنا الرسول - ﷺ - لذلك ، حيث يقول : « إذا دخل الرجل بيته فذكر اسم الله حين يدخل وحين يطعم ، قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء هنا ، وإن دخل ولم يذكر اسم الله عند دخوله قال : أدركتم المبيت ، وإن لم يذكر اسم الله عند طعامه قال أدركتم المبيت والعشاء) .

ط - مس الشيطان للإنسان (الصرع) :

يقول ابن تيمية (مجموع الفتاوى ٢٤ / ٢٧٦) : « دخول الجن في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة ، قال الله تعالى : (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) ، (سورة البقرة / ٢٧٥) وفي الصحيح عن النبي - ﷺ - : (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم) .

وقال عبد الله بن الامام أحمد بن حنبل : « قلت لأبي : إن أقواماً يقولون :

إن الجن لا يدخل في بدن المصروع ، فقال : يا بني يكذبون ، هذا يتكلم على لسانه » .

يقول ابن تيمية : « هذا الذي قاله مشهور ، فإنّه يصرع الرجل فيتكلم بلسان لا يعرف معناه ، ويُضْرب على بدنه ضرباً عظيماً لو ضرب به جمل لأثر به أثراً عظيماً ، والمصروع مع هذا لا يحس بالضرب ، ولا بالكلام الذي يقوله ، وقد يَجُرُّ المصروع ، وغير المصروع ، ويجر البساط الذي يجلس عليه ، ويحول الآلات ... ويجري غير ذلك من الأمور من شاهدها أفادته علماً ضرورياً ، بأن الناطق على لسان الإنس ، والمحرك لهذه الأجسام جنس آخر غير الإنسان . »

ويقول رحمه الله : « وليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجن في بدن المصروع وغيره ، ومن أنكر ذلك وادعى أن الشرع يكذب ذلك ، فقد كذب على الشرع ، وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك » .

وذكر في (ج ١٩ / ١٢) أن ممن أنكر دخول الجن بدن المصروع طائفة من المعتزلة كالجبائي وأبي بكر الرازي .

وسنحاول أن نلقي مزيداً من الضوء على هذا الموضوع في الفصل الخامس .

قائد المعركة

إبليس هو الذي يخطط للمعركة مع بني الإنسان ويقودها ، ومن قاعدته يرسل البعوث والسرايا في الاتجاهات المختلفة ، ويعقد مجالس يناقش جنوده وجيوشه فيما صنعته ، ويثني على الذين أحسنوا وأجادوا في الاضلال وفتنة الناس . روى الامام مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه عن النبي - ﷺ - قال : « إن الشيطان يضع عرشه على الماء ، ثم يبعث سراياه في الناس ، فأقربهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتنة ، يجيء أحدهم فيقول : ما زلت

بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا ، فيقول إبليس : لا والله ما صنعت شيئاً ، ويجيء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله ، قال : فيقربه ويدنيه ، ويقول : نعم أنتْ » .

وفي مسند الامام أحمد قال الرسول - ﷺ - لابن صائد (وكان يشك - ﷺ - أنّه الدجال) : « ما ترى » ؟ قال : أرى عرشاً على البحر حوله الحيات ، فقال رسول الله - ﷺ - : « صدق ذاك عرش إبليس » .

والشيطان له خبرة طويلة مديدة في مجال الاضلال ، ولذلك فإنّه يجيد وضع خططه ، ونصب مصياده وأحابيله ، فهو لم يزل حيّا يضل الناس منذ وجد الإنسان إلى اليوم وإلى أن تقوم الساعة : « قال : رب ، فأنظرني إلى يوم يبعثون ، قال : فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم » (سورة الحجر / ٣٦ - ٣٨) وهو دؤوب على القيام بالشر الذي نذر نفسه له ، لا يكل ولا يمل ، ففي الحديث : « إن الشيطان قال : وعزتك وجلالك لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم ، فقال الرب : وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني » رواه أحمد والحاكم بإسناد حسن (صحيح الجامع ٢ / ٧٢) .

الجنود :

وله فريقان من الجنود : فريق من الجان ، وفريق من بني الإنسان .

جنوده من الجن :

الشيطان له جنود وأعوان من الجن ، وقد سبق ذكر حديث ارساله سراياه ، وفي القرآن : « واستفزز من استطعت منهم بصوتك ، وأجلب عليهم بخيلك ورَجِلك ... » (سورة الاسراء / ٦٤) فله جنود يهاجمون راكبين راجلين ، يرسلهم على العباد يحركونهم إلى الشر تحريكاً (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزّا) (سورة مريم / ٨٣) .

لكل إنسان قرين :

كل إنسان يلازمه شيطان لا يفارقه كما في حديث عائشة عند مسلم قالت : « خرج النبي - ﷺ - من عندي ليلا ، فغرت عليه ، فجاء ، فرأى ما أصنع ، فقال ما لك يا عائشة : أغرت ؟ قلت : وما لي لا يغار مثلي على مثلك ؟ فقال : أقد جاءك شيطانك ؟ قلت : يا رسول الله ، أو معي شيطان ؟ قال : نعم ، قلت : ومع كل إنسان شيطان ؟ قال : نعم ، قلت: ومعك يا رسول الله ؟ قال : نعم ، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم » .

وروى مسلم والامام أحمد عن عبدالله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّلَ به قرينه من الجن ، وقرينه من الملائكة » قالوا : وإياك يا رسول الله؟ قال : « وإياي لكن الله أعانني عليه فأسلم ، فلا يأمرني إلا بخير » .

وفي القرآن (ومن يَعْشُ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين) ، (سورة الزخرف / ٣٦) كما قال في الآية الأخرى : (وقيضنا لهم قرناء ، فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) (سورة فصلت / ٢٥) .

أولياؤه من الإنس :

الشيطان العدو الأول للإنسان الذي يسعى في إهلاكه ، ومع ذلك فإن غالبية البشر اتخذوه وليًا ، يسيرون على خطاه ، ويرضون بفكره ، وما أقبح هذا بالإنسان العاقل أن يتخذ عدوه وليّا (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ، بئس للظالمين بدلا) (سورة الكهف / ٥٠) .

ولقد خسروا باتخاذه ولياً خسراناً مبيناً : « ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً » (سورة النساء / ١١٩) خسروا لأن الشيطان سيدسّي نفوسهم ويفسدها ، ويحرمهم من نعمة الهداية ، ويرمي بهم في الضلالات والشبهات (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ، يخرجونهم

من النور إلى الظلمات ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (سورة البقرة / ٢٥٧) وخسروا لأنه سيقودهم إلى النار في يوم القيامة ، (إنَّما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) (سورة فاطر / ٦) ، وهؤلاء أولياء الشيطان يتخذهم الشيطان مطية وجنوداً ينفذ بهم مخططاته وأهدافه .

كيده وخذلانه لأوليائه :

يتولى كثير من الناس الشيطان ، ولكنه يكيد لهم ويوردهم الموارد التي فيها هلاكهم وعطبهم ، ويتخلى عنهم ويسلمهم ويقف يشمت بهم ، ويضحك منهم ، فيأمرهم بالقتل والسرقة والزنا ويدلّ عليهم ويفضحهم ، فعل ذلك بالمشركين في معركة بدر عندما جاءهم في صورة سراقة بن مالك ووعدهم بالنصر والغلب (وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم) (سورة الأنفال / ٤٨) فلما رأى عدو الله الملائكة نزلت لنصرة المؤمنين ، ولى هارباً وأسلمهم ، كما قال حسان بن ثابت :

دلّاهم بغُرُور ثمَّ أسلمهم   إن الخبيث لمن والاه غرّارُ

وكذلك فعل بالراهب الذي قتل المرأة وولدها ، وأمره بالزنا ثم بقتلها ، ثمَّ دل أهلها عليه ، وكشف أمره لهم ، ثمَّ أمره بالسجود له ، فلما فعل فرَّ عنه وتركه ، كما سيأتي بيانه .

وفي يوم القيامة يقول لأوليائه بعد دخوله ودخولهم النار : (إني كفرت بما أشركتمون من قبل) (سورة ابراهيم / ٢٢) فأوردهم شرَّ الموارد ثمَّ تبرأ منهم كل البراءة .

وستأتي قصة ذلك الذي يدعي أنّه عالم روحاني ، وكيف تخلت عنه الشياطين بعد أن بلغ مبلغاً كبيراً من الشهرة ، فأصبح حائراً ذليلا لا يدري ما يفعل .

الشيطان يجند أولياءه لخدمته ومحاربة المؤمنين :

الناس فريقان : أولياء للرحمن ، وأولياء للشيطان . وأولياء الشيطان هم الكَفَرَة على اختلاف مللهم ونحلهم (إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) (سورة الاعراف / ٢٧) .

والشيطان يسخِّر هؤلاء لتضليل المؤمنين بما يلقونه من الشبه والشكوك (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن اطعمتوهم إنكم لمشركون) (سورة الأنعام / ١٢١) .

وما هذه الشبهات التي يقوم بها المستشرقون والصليبيون واليهود والملحدون إلا من هذا القبيل .

ويدفعهم لإيذاء المؤمنين نفسياً (إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا) ، (سورة المجادلة / ١٠) . فقد كان يدفع المشركين للتناجي حين وجود المسلمين على مقربة منهم فيظن المسلم أنهم يتآمرون عليه ...

بل يدفعهم إلى حرب المسلمين وقتالهم (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا) (سورة النساء / ٧٦) .

وهو دائماً يخوف المؤمنين أولياءه (إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه ، فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) (سورة آل عمران / ١٧٥) وأولياؤه جمع كبير (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه ، فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين) (سورة سبأ / ٢٠) .

أساليب الشيطان في إضلال الإنسان :

لا يأتي الشيطان إلى الإنسان ويقول له : اترك هذه الأمور الخيرة ، وافعل هذه الأمور السيئة ؛ كي تشقى في دنياك وأخراك ؛ لأنه لو فعل ذلك

فلن يطيعه أحد ، ولكنه يسلك سبلاً كثيرة يغرر بها بعباد الله .

١ ـ تزيين الباطل :

هذا هو السبيل الذي كان الشيطان ولا يزال يسلكه لاضلال العباد ، فهو يظهر الباطل في صورة الحق ، والحق في صورة الباطل ، ولا يزال بالإنسان يحسن له الباطل ، ويكرهه بالحق ، حتى يندفع إلى فعل المنكرات ويعرض عن الحق ، كما قال اللعين لرب العزة : (رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) (سورة الحجر / ٣٩ ـ ٤٠) .

يقول ابن القيم في هذا الصدد : « ومن مكايده أنه يسحر العقل دائماً حتى يكيده ، ولا يسلم من سحره إلا من شاء الله ، فيزين له الفعل الذي يضره حتى يخيل إليه أنّه أنفع الأشياء ، وينفر من الفعل الذي هو أنفع الأشياء له ، حتى يخيل له أنه يضره ، فلا إله إلا الله ، كم فتن بهذا السحر من انسان ! وكم حال به بين القلب وبين الإسلام والإيمان والإحسان ! وكم جلا الباطل وأبرزه في صورة مستحسنة ، وشنع الحق وأخرجه في صورة مستهجنة ! وكم بهرج من الزيوف على الناقدين ، وكم روج من الزغل على العارفين ! فهو الذي سحر العقول حتى ألقى أربابها في الأهواء المختلفة والآراء المتشعبة ، وسلك بهم من سبل الضلال كل مسلك ، وألقاهم من المهالك في مهلك بعد مهلك ، وزين لهم عبادة الأصنام ، وقطيعة الأرحام ، ووأد البنات ، ونكاح الأمهات ، ووعدهم بالفوز بالجنات مع الكفر والفسوق والعصيان ، وأبرز لهم الشرك في أعظم صورة التعظيم ، والكفر بصفات الرب تعالى وعلوه وتكلمه بكتبه في قالب التنزيه ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قالب التودد إلى الناس ، وحسن الخلق معهم ، والعمل بقوله (عليكم أنفسكم) (سورة المائدة / ١٠٥) والإعراض عما جاء به الرسول ـ ﷺ ـ في قالب التقليد ، والاكتفاء بقول من هو أعلم منهم ، والنفاق والإدهان في دين الله في قالب

العقل المعيشي الذي يندرج به العبد بين الناس » (اغاثة اللهفان ١ / ١٣٠) ، وبهذا السبيل كاد إبليس اللعين آدم عليه السلام إذ زين له الأكل من الشجرة التي حرمها الله عليه ، فما زال به يزعم له أن هذه هي شجرة الخلد وأن الأكل منها يجعله خالداً في الجنة أو ملكاً من الملائكة حتى أطاعه ، فخرج من الجنة .

وانظر إلى أولياء الشيطان اليوم كيف يستخدمون هذا السبيل في اضلال العباد .

فهذه الدعوات إلى الشيوعية والاشتراكية .. يزعمون أنها هي المذاهب التي تخلص البشرية من الحيرة والقلق والضياع والجوع ... وهذه الدعوات التي تدعو إلى خروج المرأة كاسية عارية باسم الحرية ، وتدعو إلى هذا التمثيل السخيف الذي تداس فيه الأعراض والأخلاق وتنتهك فيه الحرمات باسم الفن .

وتلك الأفكار المسمومة التي تدعو إلى ايداع المال في البنوك بالربا لتحقيق الأرباح باسم التنمية والربح الوفير ، وتلك الدعوات التي تزعم أن التمسك بالدين رجعية وجمود وتأخر ، والتي تسم دعاة الإسلام بالجنون والعمالة لدول الشرق والغرب ... الخ .

كل ذلك امتداد لسبيل الشيطان الذي كاد به آدم منذ عهد بعيد ، وهو تزيين الباطل وتحسينه ، وتقبيح الحق وتكريه الناس به ، (تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم) (سورة النحل / ٦٣) .

وهو والله سبيل خطر لأن الإنسان إذا زين له الباطل حتى رآه حسناً فإنه يندفع بكل قواه لتحقيق ما يراه حقاً وإن كان فيه هلاكه (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنَّهم يحسنون صنعاً) (سورة الكهف / ١٠٣ ، ١٠٤) .

وهؤلاء يندفعون لصدّ النّاس عن دين الله ومحاربة أولياء الله ، وهم

يظنون أنفسهم على الحق والهدى ، (وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون) (سورة الزخرف / ٣٧)

وهذا هو السبب الذي من أجله آثر الكفار الدنيا وأعرضوا عن الآخرة كما قال تعالى : (وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) (سورة فصلت / ٢٥) . فالقرناء هم الشياطين ، زينوا لهم ما بين أيديهم من أمر الدنيا حتى آثروها ، ودعوهم إلى التكذيب بالآخرة ، وزينوا لهم ذلك حتى أنكروا البعث والحساب والجنّة والنار .

تسمية الأمور المحرمة بأسماء محببة :

ومن تغرير الشيطان بالإنسان وتزيينه الباطل أن يسمى الأمور المحرمة التي هي معصية لله بأسماء محببة للنفوس خداعاً للإنسان وتزويراً للحقيقة ، كما سمي الشجرة المحرمة بشجرة الخلد كي يزين لآدم الأكل منها (قال يا آدم ، هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) .

يقول ابن القيم : « ومنه ورث أتباعه تسمية الأمور المحرمة بالأسماء التي تحب النفوس مسمياتها ، فسموا الخمر : أم الأفراح ، وسموا أخاها بلقمة الراحة ، وسموا الربا بالمعاملة ، وسموا المكوس بالحقوق السلطانية .. » .

واليوم يسمون الربا الفائدة ، والرقص والغناء والتمثيل والتماثيل فنا .

٢ ـ الإفراط والتفريط :

يقول ابن القيم في هذه المسألة : « وما أمر الله عز وجل بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان : إمّا تقصير وتفريط ، وإمّا افراط وغلوّ ، فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين ، فإنّه يأتي إلى قلب العبد فيشامّه ، فإن وجد فيه فتوراً وتوانياً وترخيصاً أخذه من هذه الخطة ، فثبطه وأقعده ، وضربه بالكسل والتواني والفتور ، وفتح له باب التأويلات والرجاء وغير ذلك ، حتى

ربما ترك العبد المأمور جملة .

وإن وجد عنده حذراً وجدًّا ، وتشميراً ونهضة ، وأيس أن يأخذه من هذا الباب ، أمره بالاجتهاد الزائد ، وسوّل له أن هذا لا يكفيك ، وهمتك فوق هذا ، وينبغي لك أن تزيد على العاملين ، وأن لا ترقد إذا رقدوا ، ولا تفطر إذا أفطروا ، وأن لا تفتر إذا فتروا ، وإذا غسل أحدهم يديه ووجهه ثلاث مرات ، فاغسل أنت سبعا ، وإذا توضأ للصلاة ، فاغتسل أنت لها ، ونحو ذلك من الافراط والتعدي ، فيحمله على الغلوّ والمجاوزة ، وتعدي الصراط المستقيم ، كما يحمل الأول على التقصير دونه وألا يقربه ، ومقصوده من الرجلين إخراجهما عن الصراط المستقيم : هذا بألا يقربه ولا يدنو منه ، وهذا بأن يجاوزه ويتعداه ، وقد فتن بهذا أكثر الخلق ، ولا ينجي من ذلك إلا علم راسخ ، وإيمان وقوة على محاربته ولزوم الوسط والله المستعان » (الوابل الصيب ص ١٩) .

٣ ـ تثبيطه العباد عن العمل ورميهم بالتسويف والكسل :

وله في ذلك أساليب وطرق ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « يعقد الشيطانُ على قافية رأس أحدكم (القافية : مؤخر الرأس) إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب كل عقدة مكانها ، عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقده كلها ، فأصبح نشيطاً طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان » .

وفي البخاري ومسلم : (إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ ، فليستنثر ثلاثا ، فإنَّ الشيطان يبيت على خيشومه) .

وسئل الرسول ـ ﷺ ـ عن رجل نام ليلة حتى أصبح ، فقال : « ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه » رواه البخاري .

وهذا الذي ذكرناه تكسيل وتثبيط من الشيطان بفعله ، وقد يثبط الإنسان بالوسوسة وسبيله في ذلك أن يحبب للإنسان الكسل ويسوف العمل ويسند الأمر إلى طول الأمل ، يقول ابن الجوزي في هذا : «كم قد خطر على قلب يهودي ونصراني حب الإسلام ، فلا يزال إبليس يثبطه ، ويقول : لا تعجل وتمهل في النظر ، فيسوفه حتى يموت على كفره ، وكذلك يسوف العاصي بالتوبة فيعجل له غرضه من الشهوات ، ويمنيه الانابة كما قال الشاعر :

لا تعجل الذنـــب لمـا تشتهـــي وتأمـــل التوبـــة مـــن قابـــل

وكم من عازم على الجدّ سوفه ! وكم ساع إلى مقام فضيلة ثبطه ! فلربما عزم الفقيه على إعادة درسه ، فقال : استرح ساعة ، أو انتبه العابد في الليل يصلي ، فقال له : عليك وقت ، ولا يزال يحبب الكسل ، ويسوف العمل ، ويسند الأمر إلى طول الأمل.

فينبغي للحازم أن يعمل على الحزم ، والحزم تدارك الوقت ، وترك التسويف ، والاعراض عن الأمل ، فإنَّ المخوف لا يؤمن ، والفوات لا يبعث ، وسبب كل تقصير ، أو ميل إلى شرّ طول الأمل ، فإنَّ الإنسان لا يزال يحدث نفسه بالنزوع عن الشرِّ ، والاقبال على الخير ، إلا أنَّه يعد نفسه بذلك ، ولا ريب أنَّه من أمَّل أن يمشي بالنهار سار سيراً فاتراً . ومن أمَّل أن يصبح عمل في الليل عملا ضعيفاً ، ومن صور الموت عاجلاً جدَّ ... ، وقال بعض السلف : أنذركم (سوف) ، فإنها أكبر جنود إبليس ، ومثل العامل على الحزم والساكن لطول الأمل ، كمثل قوم في سفر فدخلوا قرية ، فمضى الحازم فاشترى ما يصلح لتمام سفره ، وجلس متأهباً للرحيل ، وقال المفرط : سأتأهب فربما أقمنا شهراً ، فضرب بوق الرحيل في الحال ، فاغتبط المحترز (المتوفي الحازم) وتحير الأسف المفرط ، فهذا مثل الناس في الدنيا منهم المستعد المستيقظ ، فإذا جاء ملك الموت لم يندم ، ومنهم المغرور المسوف يتجرع مرير الندم وقت الرحلة ، فإذا كان في الطبع حب التواني

وطول الأمل ، ثم جاء إبليس يحث على العمل بمقتضى ما في الطبع صعبت المجاهدة ، إلا أنه من انتبه لنفسه علم أنه في صف حرب ، وأن عدوه لا يفتر عنه ، فإن فتر في الظاهر بطَّن له مكيدة وأقام له كميناً » (تلبيس إبليس / ٤٥٨) .

٤ ـ الوعد والتمنية :

وهو يعد الناس بالمواعيد الكاذبة ويعللهم بالأماني المعسولة ؛ كي يوقعهم في وهدة الضلال : (يعدهم ويمنيهم ، وما يعدهم الشيطان إلا غروراً) (سورة النساء / ١٢٠) .

يعد الكفرة في قتالهم المؤمنين بالنصر والتمكين والعزة والغلبة ، ثمَّ يتخلى عنهم ويولي هارباً : (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم ، وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم) (سورة الأنفال / ٤٨) .

ويعد الأغنياء الكفرة بالثروة والمال في الآخرة بعد الدنيا ، فيقول قائلهم : (ولئن رددت إلى ربِّي لأجدنَّ خيراً منها منقلباً) (سورة الكهف / ٣٦) ، فيدمر الله جنته في الدنيا فيعلم أنّه كان مغروراً مخدوعا .

ويشغل الإنسان بالأماني المعسولة التي لا وجود لها في واقع الحياة ، فيصده عن العمل الجاد المثمر ، ويرضى بالتخيل والتمني وهو لا يفعل شيئاً .

٥ ـ اظهار النصح للإنسان :

يدعو الشيطان المرء إلى المعصية يزعم أنه ينصح له ويريد خيره ، وقد أقسم لأبينا على أنه ناصح له (وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين) (سورة الأعراف / ٢١) .

وقد روى وهب بن منبه هذه القصة الطريفة عن أهل الكتاب[1]. نسوقها لنعلم أسلوباً من أساليب الشيطان في اضلاله العباد، وكي نحذر نصحه، ونخالفه فيما يدعونا إليه.

يقول وهب: «إن عابداً كان في بني اسرائيل، وكان من أعبد أهل زمانه، وكان في زمانه ثلاثة اخوة لهم أخت، وكانت بكراً ليس لهم أخت غيرها، فخرج البعث على ثلاثتهم، فلم يدروا عند من يخلفون أختهم، ولا من يأمنون عليها، ولا عند من يضعونها، قال: فأجمع رأيهم على أن يخلفوها عند عابد بني إسرائيل، وكان ثقة في أنفسهم، فأتوه فسألوه أن يخلفوها عنده، فتكون في كنفه وجواره إلى أن يرجعوا من غزاتهم، فأبى ذلك عليهم، وتعوذ بالله منهم ومن أختهم، قال: فلم يزالوا به حتى أطاعهم. فقال: أنزلوها في بيت حذاء صومعتي. قال: فأنزلوها في ذلك البيت. ثم انطلقوا وتركوها، فمكثت في جوار ذلك العابد زماناً ينزل إليها بالطعام من صومعته فيضعه عند باب الصومعة، ثم يغلق بابه ويصعد إلى الصومعة، ثمَّ يأمرها فتخرج من بيتها، فتأخذ ما وضع لها من الطعام، قال: فتلطف له الشيطان، فلم يزل يرغبه في الخير، ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهاراً، ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها، فلو مشيت بطعامها حتى تضعه على باب بيتها كان أعظم أجراً.

قال فلم يزل به حتى مشى إليها بطعامها، ووضعه على باب بيتها ولم يكلمها، قال: فلبث على هذه الحالة زماناً، ثمَّ جاءه إبليس فرغبه في الخير والأجر وحضه عليه، وقال لو كنت تمشي إليها بطعامها حتى تضعه في بيتها كان أعظم لأجرك. فلم يزل به حتى مشى إليها بالطعام ثمَّ وضعه في بيتها، فلبث على ذلك زماناً.

---

(١) هذه القصة وأمثالها من الإسرائيليات لا تصدق ولا تكذب ويجوز التحديث بها يقول الرسول ﷺ: «وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج».

ثم جاءه إبليس فرغّبه في الخير وحضه عليه ، فقال : لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحديثك ، فإنها قد استوحشت وحشة شديدة ، فلم يزل به حتى حدثها زماناً يطلع إليها من فوق صومعته .

ثم أتاه إبليس بعد ذلك ، فقال : لو كنت تنزل إليها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها ، وتقعد هي على باب بيتها فتحدثك كان آنس لها . فلم يزل به حتى أنزله وأجلسه على باب صومعته يحدثها وتحدثه ، وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على باب بيتها . فلبثا زماناً يتحدثان .

ثمَّ جاءه إبليس فرغبه في الأجر والثواب فيما يصنع بها ، وقال : لو خرجت من باب صومعتك ثمَّ جلست قريباً من بيتها فحدثتها كان آنس لها . فلم يزل به حتى فعل . فلبثا زماناً على ذلك . ثم جاءه إبليس ، فقال : لو دخلت البيت معها فحدثتها ولم تتركها تبرز وجهها لأحد كان أحسن بك ، فلم يزل به حتى دخل البيت فجعل يحدثها نهارها كله ، فإذا مضى النهار صعد صومعته .

ثمَّ أتاه إبليس بعد ذلك فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذها وقبلها . فلم يزل به إبليس يحسنها في عينه ويسول له حتى وقع عليها ، فأحبلها فولدت له غلاماً ، فجاء إبليس فقال : أرأيت إن جاء اخوة الجارية وقد ولدت منك كيف تصنع ؟ لا آمن عليك أن تفتضح أو يفضحوك ، فاعمد إلى ابنها فاذبحه وادفنه فإنها ستكتم ذلك عليك مخافة اخوتها أن يطلعوا على ما صنعت بها ففعل ، فقال له : أتراها تكتم اخوتها ما صنعت بها وقتلت ابنها ، خذها واذبحها وادفنها مع ابنها ، فلم يزل به حتى ذبحها وألقاها في الحفرة مع ابنها ، وأطبق عليهما صخرة عظيمة وسوى عليهما ، وصعد إلى صومعته يتعبد فيها ، فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث ، حتى أقبل إخوتها من الغزو ، فجاؤوا فسألوه عنها فنعاها لهم وترحم عليها وبكاها . وقال : كانت خير امرأة ، وهذا قبرها ، فانظروا إليه . فأتى إخوتها القبر . فبكوا أختهم وترحموا

عليها فأقاموا على قبرها أياما ، ثمَّ انصرفوا إلى أهاليهم . فلما جنَّ عليهم الليل وأخذوا مضاجعهم ، جاءهم الشيطان في النوم على صورة رجل مسافر ، فبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم ، فأخبره بقول العابد وموتها وترحمه عليها ، وكيف أراهم موضع قبرها فأكذبه الشيطان . وقال : لم يصدقكم أمر أختكم إنه قد أحبل اختكم وولدت منه غلاماً فذبحه وذبحها معه فزعاً منكم ، وألقاهما في حفيرة احتفرها خلف باب البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله ، فانطلقوا فادخلوا البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله فإنكم ستجدونها كما أخبرتكم هناك جميعاً . وأتى الأوسط في منامه فقال مثل ذلك . ثمَّ أتى أصغرهم ، فقال له مثل ذلك . فلما استيقظ القوم أصبحوا متعجبين مما رأى كل واحد منهم ، فأقبل بعضهم على بعض يقول كل واحد منهم : لقد رأيت الليلة عجباً ، فأخبر بعضهم بعضاً بما رأى .

فقال كبيرهم : هذا حلم ليس بشيء فامضوا بنا ودعوا هذا عنكم ، قال أصغرهم : والله لا أمضي حتى آتي إلى هذا المكان فأنظر فيه . قال : فانطلقوا جميعاً حتى أتوا البيت الذي كانت فيه أختهم ، ففتحوا الباب وبحثوا الموضع الذي وصف لهم في منامهم فوجدوا أختهم وابنها مذبوحين في الحفيرة ، كما قيل لهم ، فسألوا عنها العابد فصدَّق قول إبليس فيما صنع بهما . فاستعدوا عليه ملكهم فأنزل من صومعته وقدّم ليصلب ، فلما أوثقوه على الخشبة أتاه الشيطان ، فقال له : قد علمت أني أنا صاحبك الذي فتنتك بالمرأة حتى أحبلتها وذبحتها وابنها ، فإن أنت أطعتني اليوم ، وكفرت بالله الذي خلقك وصوّرك خلصتك مما أنت فيه ، فكفر العابد ، فلما كفر بالله تعالى ، خلى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه .

(انظر تلبيس إبليس / ٣٩)

وهذه القصة يرويها المفسرون عند قوله تعالى : (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك) (سورة الحشر / ١٦)

ويذكرون أن المعنيّ بالإنسان هذا العابد وأمثاله . والله أعلم .

٦ ـ التدرج في الاضلال :

ومن القصة السابقة نعلم اسلوباً من أساليب الشيطان في الاضلال ، وهو أن يسير بالإنسان خطوة خطوة ، لا يكل ولا يملّ ، كلما روّضه على معصية ما ، قاده إلى معصية أكبر منها ، حتى يوصله إلى المعصية الكبرى فيوبقه ويهلكه ، وتلك سنة الله في عباده أنهم إذا زاغوا سلط عليهم الشيطان ، وأزاغ قلوبهم (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) (سورة الصف / ٥) .

٧ ـ انساؤه العبد ما فيه خيره وصلاحه :

ومن ذلك ما فعله بآدم فما زال يوسوس له حتى أنساه ما أمره به ربُّه (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً) (سورة طه/١١٥) وقال صاحب موسى لموسى : (فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) (سورة الكهف / ٦٣) .

ونهى الله رسوله أن يجلس هو أو واحد من أصحابه في المجالس التي يستهزأ فيها بآيات الله ولكن الشيطان قد ينسي الإنسان مراد ربّه منه فيجالس هؤلاء المستهزئين (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإمّا ينسينّك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) (سورة الانعام / ٦٨) .

وطلب نبيّ الله يوسف إلى السجين الذي ظنّ بأنه سينجو من القتل ويعود لخدمة الملك أن يذكره عند مليكه فأنسى الشيطان هذا الإنسان أن يذكر لملكه نبي الله يوسف فيمكث يوسف في السجن بضع سنين (وقال للذي ظن أنّه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين) (سورة يوسف / ٤٢) .

وإذا تمكّن الشيطان من الإنسان تمكناً كلياً فإنه ينسيه الله بالكلية (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) (سورة المجادلة / ١٩) والمراد بهؤلاء المنافقون ، كما تدل عليه الآية السابقة لهذه الآية . وسبيل التذكر هو ذكر الله لأنه يطرد الشيطان (واذكر ربك إذا نسيت) (سورة الكهف / ٢٤) .

٨ ـ تخويف المؤمنين أولياءَه :

ومن وسائله أن يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه ، فلا يجاهدونهم ولا يأمرونهم بالمعروف ، ولا ينهونهم عن المنكر ، وهذا من أعظم كيده بأهل الإيمان ، وقد أخبرنا سبحانه عنه بهذا فقال :

(إنَّما ذلكم الشيطان يخوِّف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) (سورة آل عمران / ١٧٥) .

والمعنى : يخوفكم بأوليائه ، قال قتادة : « يعظمهم في صدوركم ، ولهذا قال فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ، فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان ، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم » .

٩ ـ دخوله إلى النفس من الباب الذي تحبه وتهواه :

يقول ابن القيم في هذا الموضوع (اغاثة اللهفان ١ / ١٣٢) « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم حتى يصادف نفسه ويخالطه ، ويسألها عمّا تحبه وتؤثره ، فإذا عرفه استعان بها على العبد ، ودخل عليه من هذا الباب ، وكذلك علّم اخوانه وأولياءه ، من الإنس إذا أرادوا أغراضهم الفاسدة من بعضهم بعضاً أن يدخلوا عليهم من الباب الذي يحبونه ويهوونه ، فإنّه باب لا يخذل عن حاجته من دخل منه ، ومن رأم الدخول من غيره فالباب عليه مسدود ، وهو عن طريق مقصده مصدود » .

ومن ههنا دخل الشيطان على آدم وحواء كما قال تعالى : (وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) (سورة الأعراف / ٢٠) يقول ابن القيم « فشام عدو الله الأبوين ، فأحسَّ منهما ايناساً وركوناً إلى الخلد في تلك الدار في النعيم المقيم فعلم أنّه لا يدخل عليهما من غير هذا الباب ، فقاسمهما بالله إنّه لهما لمن الناصحين ، وقال : (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) . (سورة الاعراف/٢٠) .

١٠ ـ إلقاء الشبهات :

ومن أساليبه في اضلال العباد زعزعة العقيدة بما يلقيه من شكوك وشبهات ، وقد حذرنا الرسول ـ ﷺ ـ من بعض هذه الشبهات التي يلقيها ، ففي حديث البخاري ومسلم : « يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول من خلق ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته » . ولم يسلم الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ من شبهاته وشكوكه ، وجاء بعضهم إلى الرسول ـ ﷺ ـ يَشْكون ما يعانونه من شكوكه ووساوسه ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : جاء ناس من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ إلى النبي ـ ﷺ ـ فسألوه : إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به ! قال : « أوَقَد وجدتموه ؟ » قالوا : نعم . قال : « ذلك صريح الإيمان » .

ومراد الرسول ـ ﷺ ـ بقوله « ذلك صريح الإيمان » أي دفع وسوسة الشيطان وكراهيتهم واستعظامهم لها .

وانظر إلى شدة ما كان يعانيه الصحابة من شكوكه ، روى أبو داود في سننه عن ابن عباس : أن النبي ـ ﷺ ـ جاءه رجل ، فقال : « إني أحدث نفسي بالشيء لأن أكون حممة أحبَّ إليّ من أتكلم به . قال : الحمد لله الذي ردّ أمره إلى الوسوسة » ومن جملة ما يلقيه في النفوس مشككاً ما حدثنا الله عنه في قوله :(وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى

الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ، ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد ، وليعلم الذين اوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قُلوبهم ، وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم » (سورة الحج / ٥٢ ـ ٥٤) .

والمراد بالتمني هنا حديث النفس ، والمراد أن النبي ـ ﷺ ـ كان إذا حدث نفسه ألقى الشيطان في حديثه على جهة الحيلة ، فيقول : لو سألت الله ـ عز وجل ـ أن يغنِّمك ليتسع المسلمون ، أو يتمنى إيمان الناس جميعاً .... فينسخ الله ما يلقيه الشيطان بوسواسه في أمنية النبي ـ ﷺ ـ وذلك بتنبيهه إلى الحق ، وتوجيهه إلى مراد الله ... وما قيل من أن مراد الآية أن الشيطان يدخل في القرآن ما ليس منه ففيه بعد ، ويرده أن الرسول ـ ﷺ ـ معصوم في التبليغ .

يقول شقيق (أحد العلماء الأعلام) : مبيناً لبعض الشبهات التي يقذفها الشيطان في نفس الإنسان : « ما من صباح إلا قعد لي الشيطان على أربع مراصد : من بين يدي ، ومن خلفي ، وعن يميني ، وعن شمالي ، فيقول : لا تخف فإن الله غفور رحيم ، فأقرأ : (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثمَّ اهتدى) (سورة طه / ٨٢) وأما من خلفي فيخوفني الضيعة على من أخلفه ، فأقرأ : (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) ، (سورة هود / ٦) ومن قبل يميني ، يأتيني من قبل النساء ، فأقرأ : (والعاقبة للمتقين) (سورة الأعراف / ١٢٨) .

ومن قبل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات ، فأقرأ (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) (سورة سبأ / ٥٤) .

١١ - ١٤ - الخمر والميسر والأنصاب والأزلام :

قال تعالى : (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) (سورة المائدة / ٩٠ - ٩١) والخمر كل ما يسكر ، والميسر القمار ، والأنصاب كل ما نصب يعبد من دون الله : من حجر ، أو شجر ، أو وثن ، أو قبر ، أو علم .

والأزلام : القداح كانوا يستقسمون بها الأمور ، أي يطلبون بها علم ما قسم لهم .

وهذه قد تكون أقداحاً أو سهاماً أو حصيات أو غير ذلك ، يكون مكتوباً على واحد منها أمرني ربي ، وعلى الآخر نهاني ربي ، فإذا شاء أحدهم زواجاً أو سفراً أو نحو ذلك أدخل يده في الشيء الذي فيه هذه القداح أو السهام ، فإن خرج الذي فيه الأمر بالفعل فعل وإن خرج الآخر ترك .

فالشيطان يحض الناس على هذه الأربع لأنها ضلال في نفسها ، وتؤدي إلى نتائج وخيمة ، وآثار سيئة ، فالخمر تفقد شاربها عقله فإذا فقد عقله فعل الموبقات وارتكب المحرمات وترك الطاعات وآذى عباد الله ، ذكر ابن كثير في تفسيره عن عثمان بن عفان قال : « اجتنبوا الخمر ، فإنها أمُّ الخبائث ، إنه كان رجل فيمن خلا قبلكم يتعبد ويعتزل الناس ، فعلقته امرأة غويّة ، فأرسلت إليه جاريتها أن تدعوه لشهادة ، فدخل معها فطفقت كلما دخل باباً أغلقته دونه ، حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر ، فقالت : إني والله ما دعوتك لشهادة ولكن دعوتك لتقع عليّ ، أو تقتل هذا الغلام ، أو تشرب هذا الخمر ، فسقته كأساً ، فقال : زيدوني ، فلم يرم حتى وقع عليها وقتل النفس ، فإنها لا تجتمع هي والإيمان أبداً إلا أوشك أحدهما أن يخرج صاحبه » . رواه البيهقي ، وصحح ابن كثير اسناده .

وروى مسلم وأصحاب السنن أن رجلاً من الأنصار صنع طعاماً لبعض الصحابة ، ثمَّ سقاهم خمراً قبل أن ينزل تحريمها ، فلما سكروا تفاخروا ، فتعاركوا ، وأصاب سعد بن أبي وقاص من هذا العراك أذى ، فقد ضربه أحدهم بلحى بعير ، فأصاب أنفه ، فأثر فيه أثراً صاحبه طيلة حياته . وتقدم أحدُ الصحابة يصلي بالناس وهو سكران قبل نزول تحريم الخمر فقرأ : (قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون) فأنزل الله : (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) ، (سورة النساء / ٤٣) .

وقد رأينا الرجل الذي بلغ من الكبر عِتِيًا عندما يشرب الخمر يتصرف تصرفات المجانين ، ويضحك منه الكبار والصغار ، ويفترش الطريق تدوسه الناس بأقدامها .

والميسر مرض خطير كالخمر إذا تأصل في نفس الإنسان صعب الشفاء منه ، وهو سبيل لضياع الوقت والمال ، والميسر ينشىء الأحقاد ، ويدفع إلى الحرام .

والشيطان يدعو إلى إقامة النصب كي تتخذ بعد ذلك آلهة تُعبد من دون الله ، وقد انتشرت عبادة الأنصاب قديماً وحديثاً والشياطين تلازم هذه الأصنام ، وتخاطب عبادها في بعض الأحيان ، وتريهم بعض الأمور التي تجعل عابديها يثقون بها ، فيقصدونها بالحاجات ، ويدعونها في الكربات ، ويستنصرون بها في الحروب ، ويقدمون لها الذبائح والهدايا ، ويرقصون حولها ويطربون ، ويقيمون لها الأعياد والاحتفالات ، وقد أضل بهذا الكثير كما قال إبراهيم داعياً ربه : (واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ، رب إنهن أضللن كثيراً من الناس) (سورة إبراهيم / ٣٥-٣٦) ولا تزال عبادة القبور منتشرة بين المسلمين ، يقصدونها بالدعاء والألطاف والذبائح ... وانتشرت بدعة جديدة اليوم - يضحك بها الشيطان على بني الإنسان - تلك هي نصب الجندي المجهول ، يزعمون أنه رمز الجندي المقاتل ، ويكرمونه بالهدايا

والورود والتعظيم ، وكلما زار البلاد زعيم جاء هذا النصب وقدم له هدية ، وكل هذا من عبادة الأنصاب التي هي من عمل الشيطان .

الاستقسام بالأزلام :

الأمور المستقبلية من مكنون علم الله ، ولذلك شرع لنا الرسول - ﷺ - الاستخارة إذا أردنا سفراً أو زواجاً أو غير ذلك ، نرجو من الله أن يختار لنا خير الأمور .

وأبطل الاستقسام بالأزلام فإن السهام والقداح لا تعلم أين الخير ولا تدريه ، فاستشارتها خلل في العقل ، وقصور في العلم ، ومثل ذلك زجر الطير كان من يريد سفراً إذا خرج من بيته ومرّ بطائر زجره ، فإن تيامن كان سفراً ميموناً ، وإن مرّ عن شماله كان سفراً مشئوماً ... ، وكل ذلك من الضلال .

١٥ ـ السحر :

ومما يضل به الشياطين أبناء آدم السحر ، فهم يعلمونهم هذا العلم الذي يضر ولا ينفع ، ويكون هذا العلم سبيلا للتفريق بين المرء وزوجه ، والتفريق بين الزوجين يعتبره الشيطان من أعظم الأعمال التي يقوم بها جنوده كما سبق .

قال تعالى : (وما كفر سليمان ، ولكنّ الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ، وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ، وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة ، من خلاق ، ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) ، (سورة البقرة / ١٠٢) .

هل للسحر حقيقة ؟

اختلف العلماء في ذلك فمن قائل : انّه تخييل لا حقيقة له ، (فإذا حبالهم

وعصيُّهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) (سورة طه / ٦٦) ومن قائل أن له حقيقة كما دلت عليه آية البقرة ، والصحيح أنّه نوعان : نوع هو تخييل يعتمد على الحيل العلمية وخفة الحركة ، ونوع له حقيقة يفرق به بين المرء وزوجه ، ويؤذي به..

سحر اليهود للرسول ﷺ :

عن عائشة رضي الله عنها قالت :

« سَحَرَ رسولَ الله ﷺ يهوديٌّ من يهود بني زُرَيق ، يقال لـه لبيد ابن الأعصم . حتى كان رسول الله ﷺ ، يُخيَّل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله .

حتى إذا كان ذات يوم ، دعا رسول الله ﷺ ، ثم دعا ، ثم دعا ــ أي دعا ربه مرات ــ ثم قال :

يا عائشة أشعرتِ أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه ؟

(أي أجابني فيما طلبت).

جاءني رجلان ، فقعد أحدهما عند رأسي ، والآخر عند رجليّ .

فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي ، أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي :

ما وجع الرجل ؟

قال : مطبوب (أي مسحور)

قال : مَن طبّه ؟

قال : لبيد بن الأعصم .

قال : في أي شيء ؟

قال : في مُشط ومُشاطة ــ أي شعر سقط عند التسريح ــ وجُفّ طلعةِ

ذكر (أي غشاء الطلع)

قال : فأين هو ؟

قال : في بئر ذي أَرْوان .

قالت : فأتاها رسول الله ﷺ في أناس من أصحابه ، ثم قال :

يا عائشة ، والله لكأن ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رؤوس الشياطين .

فقلت : يا رسول الله ، أفلا أحرقته ؟

قال : لا ، أمّا أنا فقد عافاني الله ، وكرهت أن أثير على الناس شراً ، فأمرت بها فدُفنت » . (رواه البخاري ومسلم) .

ولا يقال : إن السحر فيه ﷺ يوجب لَبَساً في النبوة والرسالة ، لأن أثر السحر لم يتجاوز ظاهر الجسم الشريف ، فلم يصل إلى القلب والعقل . فهو كسائر الأمراض التي قد تعرض له ، والتشريع محفوظ بحفظ الله تعالى :

قال الله تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له الحافظون) . (سورة الحجر / ٩) .

١٦ ـ ضعف الإنسان :

في الإنسان نقاط ضعف كثيرة ، هي في الحقيقة أمراض ، والشيطان يعمق هذه الأمراض في نفس الإنسان ، بل تصبح مداخله إلى النفس الإنسانية ومن هذه الأمراض : الضعف ، واليأس ، والقنوط ، والبطر ، والفرح ، والعجب ، والفخر ، والظلم ، والبغي ، والجحود ، والكنود ، والعجلة ، والطيش ، والسفه ، والبخل ، والشح ، والحرص ، والجدل ، والمراء ، والشك ، والريبة ، والجهل ، والغفلة ، واللدد في الخصومة ، والغرور ، والادعاء الكاذب ، والهلع ، والجزع ، والمنع ، والتمرد ، والطغيان ،

وتجاوز الحدود ، وحب المال ، والافتتان بالدنيا ، .. فالإسلام يدعو إلى اصلاح النفس ، والتخلص من أمراضها ، وهذا يحتاج إلى جهد يبذل ، ويحتاج إلى صبر على مشقات الطريق ، أمّا اتباع الهوى وما تمليه النفس الأمارة بالسوء فإنه سهل ميسور ، فالأول مثله مثل من يصعد بصخرة إلى أعلى الجبل ، ومثل الثاني كمن يدحرج صخرة من أعلى الجبل إلى أسفله ، ولذلك كانت الاستجابة للشيطان كثيرة ، وَوَجد دعاة الحق صعوبة وأي صعوبة في الدعوة إلى الله تعالى .

ونحن نسوق إليك بعض كلام السلف لنوضح كيف يستغل الشيطان نقاط الضعف في الإنسان :

ـ حكى المعتمر بن سليمان عن أبيه أنه قال : (ذكر لي أن الشيطان الوسواس ينبعث في قلب ابن آدم عند الحزن والفرح ، فإذا ذكر الله خنس) (تفسير القرآن / ابن كثير ٧ / ٤٢٣) وقال وهب بن منبه : « قال راهب للشيطان وقد بدا له : أي أخلاق ابن آدم أعون لك عليهم ؟ قال : الحدة (صفة تعتري الإنسان كالغضب) إن العبد إذا كان حديداً قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة » (تلبيس إبليس / ٤٢) ويذكر ابن الجوزي أيضاً عن ابن عمر أن نوحاً سأل الشيطان عن الخصال التي يهلك بها الناس ، فقال : « الحسد والحرص » وليس بعيداً عنّا ما فعله الشيطان بيوسف واخوته وكيف أوغر صدور الاخوة على أخيهم ، وقد قال يوسف : (وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن ، وجاء بكم من البدو ، من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي) (سورة يوسف / ١٠٠) .

١٧ ـ النساء وحب الدنيا :

وقد أخبرنا الرسول ـ ﷺ ـ أنه ما ترك بعده فتنة أشد على الرجال من النساء ، ولذلك أمرت المرأة بستر جسدها كله إلا الوجه والكفين ، وأمر

الرجال بغض أبصارهم . ونهى الرسول - ﷺ - عن الخلوة بالمرأة ، وأخبر أنه ما خلى رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما . وفي سنن النسائي باسناد صحيح (المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان) .

ونحن اليوم نشاهد عظم فتنة خروج غالب النساء كما وصفهن ارسول - ﷺ - كاسيات عاريات ، وقامت مؤسسات في الشرق والغرب تستخدم جيوشاً من النساء والرجال لترويج الفاحشة بالصورة المرئية ، والقصة الخليعة ، والأفلام التي تحكي الفاحشة وتدعو لها !...

أما حب الدنيا فهو رأس كل خطيئة ، وما سفكت الدماء وهتكت الأعراض ، وغصبت الأموال ، وقطعت الأرحام ، ... إلا لأجل حيازة الدنيا ، والصراع على حطامها الفاني ، وحرصاً على متعها الزائلة .

١٨ - الغناء والموسيقى :

الغناء والموسيقى طريقان يفسد الشيطان بهما القلوب ، ويخرب النفوس ، يقول ابن القيم : (ومن مكايد عدو الله ومصايده التي كاد بها من قل نصيبه من العلم والعقل والدين ، وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين : سماع المكاء والتصدية ، والغناء بالآلات المحرمة الذي يصد القلوب بها عن القرآن ، ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان ، فهو قرآن الشيطان والحجاب الكثيف عن الرحمن ، وهو رقية اللواط والزنى ، كاد به الشيطان النفوس المبطلة ، وحسنه لها مكراً وغروراً ، وأوحى لها الشبه الباطلة على حسنه ، فقبلت وحيه ، واتخذت لأجله القرآن مهجوراً ...) (اغاثة اللهفان ٢٤٢/١) ومن عجب أن بعض الناس الذين يدَّعون التعبد يتخذون الغناء والرقص والتمايل طريقاً للتعبد ويتركون السماع الرحماني ، ويذهبون إلى السماع الشيطاني ، وقد عدَّ ابن القيم في (الاغاثة ٢٥٦/١) لهذا السماع بضعة عشر اسماً : اللهو ، واللغو ، والباطل ، والزور ، والمكاء ، والتصدية ، ورقية الزنا ، وقرآن

الشيطان ، ومنبت النفاق في القلب ، والصوت الأحمق ، والصوت الفاجر ، وصوت الشيطان ، ومزمور الشيطان ، والسمود .

وأطال النفس في بيان تحريمه وما فيه من زور وبهتان فراجعه إن شئت .

١٩ ـ تهاون المسلمين في تحقيق ما أمروا به :

إذا التزم المسلم بإسلامه فإن الشيطان لا يجد سبيلاً لاضلاله والعبث به ، فإذا تهاون وتكاسل في بعض الأمور فإن الشيطان يجد فرصة ، قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) (سورة البقرة / ٢٠٨) فالدخول في الإسلام في كل الأمور هو الذي يخلص من الشيطان ، فمثلاً إذا كانت صفوف المصلين مرصوصة فإن الشياطين لا تستطيع أن تتخلل المصلين فإذا تُركت فُرجٌ بين الصفوف فإنَّ الشياطين تتراقص بين صفوف المصلين ففي الحديث « أقيموا صفوفكم ، لا تتخللكم الشياطين كأنّها أولاد الحذف . قيل يا رسول الله : وما أولاد الحذف؟ قيل جُرْد « بأرض اليمن » رواه أحمد والحاكم باسناد صحيح (صحيح الجامع ٣٨٤/١) وفي الحديث الآخر « أقيموا صفوفكم ، وتراصوا ، فوالذي نفسي بيده إني لأرى الشياطين بين صفوفكم كأنها غنم عُفْر » رواه أبو داود الطيالسي باسناد صحيح (صحيح الجامع ٣٨٤/١) .

كيف يصل الشيطان الى نفس الانسان :

الوسوسة :

الشيطان يستطيع أن يصل إلى فكر الإنسان وقلبه ، بطريقة لا ندركها ولا نعرفها ، يساعده على ذلك طبيعته التي خلق عليها ، وهذا الذي نسميه بالوسوسة ، وقد أخبرنا الله بذلك إذ سماه (الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس) (سورة الناس / ٤ ـ ٥) قال ابن كثير في تفسيره :

(الواسواس الخناس) الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا سها وغفل وسوس ، فإذا ذكر الله خنس .

وقد ثبت في صحيح البخاري أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : « إنَّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » .

وبهذه الوسوسة أضل آدم وأغراه بالأكل من الشجرة : (فوسوس إليه الشيطان ، قال : يا آدم ، هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) (سورة طه / ١٢٠) .

وقد تتمثل الشياطين في صورة بشر ، وقد يحدثون الإنسان ويُسْمِعونه ويأمرونه وينهونه بمرادهم .. كما سيأتي بيانه .

الفصل الرابع

تمثل الشياطين
تحضير الأرواح
الجن وعلم الغيب
الجن والأطباق الطائرة

تمثل الشياطين

أحياناً تأتي الشياطين الإنسان لا بطريق الوسوسة ؛ بل تتراءى له في صورة إنسان ، وقد يسمع الصوت ولا يرى الجسم ، وقد تتشكل بصور غريبة .. وهي أحياناً تأتي الناس وتعرفهم بأنها من الجن ، وفي بعض الأحيان تكذب في قولها فتزعم أنها من الملائكة ، وأحياناً تسمي نفسها برجال الغيب ، أو تدعي أنها من عالم الأرواح ...

وهي في كل ذلك تحدث بعض الناس ، وتخبرهم بالكلام المباشر ، أو بواسطة شخص منهم يسمى الوسيط تتلبس وتتحدث على لسانه ، وقد تكون الإجابة بواسطة الكتابة ...

وقد تقوم بأكثر من ذلك فتحمل الإنسان وتطير به في الهواء وتنقله من مكان إلى مكان ، وقد تأتي له بأشياء يطلبها ، ولكنها لا تفعل هذا إلا بالضالين الذين يكفرون بالله رب الأرض والسموات ، أو يفعلون المنكرات والموبقات ... وقد يتظاهر هؤلاء بالصلاح والتقوى ، ولكنهم في حقيقة أمرهم من أضل الناس وأفسقهم ، وقد ذكر القدامى والمحدثون من هذا شيئاً كثيراً لا مجال لتكذيبه والطعن فيه لبلوغه مبلغ التواتر .

فمن ذلك ما ذكره ابن تيمية عن الحلاج قال : (وكان صاحب سيمياء وشياطين تخدمه أحياناً ، كانوا معه (بعض أتباعه) على جبل أبي قبيس ، فطلبوا منه حلاوة ، فذهب إلى مكان قريب وجاء بصحن حلوى ، فكشفوا الأمر فوجدوا ذلك قد سرق من دكان حلاوى باليمن ، حمله شيطان تلك البقعة) .

قال : « ومثل هذا يحدث كثيراً لغير الحلاج ممن له حال شيطاني ، ونحن نعرف كثيراً من هؤلاء في زماننا وغير زماننا ، مثل شخص هو الآن (في زمن ابن تيمية) بدمشق ، كان الشيطان يحمله من جبل الصالحية إلى قرية حول دمشق ، فيجيء من الهواء إلى طاقة البيت الذي فيه الناس فيدخل وهم يرونه ، ويجيء بالليل إلى باب الصغير (باب من أبواب دمشق الستة التي كانت يومئذ) ، فيعبر منه هو ورفيقه وهو من أفجر الناس .

وآخر كان بالشوبك (قلعة حصينة في أطراف الشام) من قرية يقال لها الشاهدة يطير في الهواء إلى رأس الجبل والناس يرونه ، وكان شيطان يحمله ، وكان يقطع الطريق .

وأكثرهم شيوخ الشرِّ ، يقال لأحدهم (البَوْشى أبي المجيب) ينصبون له خركاه في ليلة مظلمة ، ويصنعون خبزاً على سبيل القربات ، فلا يذكرون الله ولا يكون عندهم من يذكر الله ولا كتاب فيه ذكر الله ، ثم يصعد ذلك البَوْشى في الهواء وهم يرونه ويسمعون خطابه للشيطان وخطاب الشيطان له . ومن ضحك أو سرق من الخبز ضربه الدف ولا يرون من يضرب به .

ثم إن الشيطان يخبرهم ببعض ما يسألونه عنه ، ويأمرهم بأن يقربوا له بقراً وخيلاً وغير ذلك ، وأن يخنقوها خنقاً ولا يذكرون اسم الله عليها ، فإذا فعلوا قضى حاجتهم » .

ويذكر ابن تيمية أيضاً عن « شيخ أخبره نفسه أنه كان يزني بالنساء ويتلوط الصبيان ، وكان يقول : يأتيني كلب أسود بين عينيه نكتتان بيضاوان ، فيقول لي : فلان ابن فلان نذر لك نذراً وغداً نأتيك به ، وانا قضيت حاجته لأجلك ، فيصبح ذلك الشخص يأتيه بذلك النذر ، ويكاشفه هذا الشيخ الكافر » .

ويذكر عن هذا الشيخ أنه قال : « وكنت إذا طلب مني تغيير مثل (اللاَّذن)

(صمغ يستعمل عطراً ودواء) أقول حتى أغيب عن عقلي ، وإذا باللاذن في يدي أو في فمي ، وأنا لا أدري من وضعه .

قال : وكنت أمشي وبين يدي عمود أسود عليه نور .

قال : فلما تاب هذا الشيخ وصار يصلي ويصوم ويجتنب المحارم ذهب الكلب الأسود ، وذهب التغيير فلا يأتي بلاذن ولا غيره .

ويحكى عن شيخ آخر كان له شياطين يرسلهم يصرعون بعض الناس ، فيأتي أهل ذلك المصروع إلى الشيخ يطلبون إبراءه ، فيرسل إلى أتباعه فيفارقون ذلك المصروع ، ويعطون ذلك الشيخ دراهم كثيرة ، وكان أحياناً تأتيه الجن بدراهم وطعام تسرقه من الناس ، حتى أن بعض الناس كان له تين في كوارة ، فيطلب الشيخ من شياطينه تيناً فيحضرونه له ، فيطلب أصحاب الكوارة التين فوجدوه قد ذهب .

ويذكر عن آخر أنه كان مشتغلاً بالعلم فجاءته الشياطين أغوته ، وقالوا له : نحن نسقط عنك الصلاة ، ونحضر لك ما تريد ، فكانوا يأتونه بالحلوى أو الفاكهة ، حتى حضر عند بعض الشيوخ العارفين بالسنة فاستتابه ، وأعطى أهل الحلاوة ثمن حلاوتهم التي أكلها ذلك المفتون بالشيطان » (جامع الرسائل لابن تيمية / ص ١٩٠ ـ ١٩٤)

وبين بعض طرق الشيطان في الاغواء ، فقال في (مجموع الفتـاوي ١١/٣٠٠) : « أنا أعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع ، وإنما يخاطبه الشيطان الذي دخل فيها ، وأعرف من يخاطبهم الشجر والحجر وتقول هنيئاً لك يا ولي الله ، فيقرأ آية الكرسي فيذهب ذلك ، واعرف من يقصد صيد الطير فتخاطبه العصافير وغيرها وتقول : خذني حتى يأكلني الفقراء ، ويكون الشيطان قد دخل فيها كما يدخل في الإنسان ويخاطبه بذلك ، ومنهم من يكون في البيت وهو مغلق فيرى نفسه خارجه وهو لم يفتح وبالعكس ،

وكذلك في أبواب المدينة وتكون الجن قد أدخلته وأخرجته بسرعة ، أو تمرُّ به أنوار ، أو تحضر عنده من يطلبه ويكون ذلك من الشياطين يتصورون بصورة صاحبه ، فإذا قرأ آية الكرسي مرة بعد مرة ذهب ذلك كله » .

ويقول رحمه الله : « وأعرف من يخاطبه مخاطب ويقول له : أنا من أمر الله ، ويعده بأنه المهدي الذي بشر به الرسول ـ ﷺ ـ ويظهر له الخوارق ، مثل أن يخطر بقلبه تصرف في الطير والجراد في الهواء ، فإذا خطر بقلبه ذهاب الطير أو الجراد يميناً أو شمالاً ذهب حيث أراد ، وإذا خطر بقلبه قيام بعض المواشي أو نومه أو ذهابه حصل له ما أراد من غير حركة منه في الظاهر ، وتحمله إلى مكة وتأتي به ، وتأتيه بأشخاص في صور جميلة وتقول له هؤلاء الملائكة الكروبيون جاءوا لزيارتك ، فيقول في نفسه : كيف تصوروا بصور المردان ؟ ! فيرفع رأسه فيجدهم بلحى ، ويقول له : علامة أنك المهدي أنَّك تنبت في جسدك شامة ، فتنبت ويراها وغير ذلك ، وكله من مكر الشيطان » .

وبين رحمه الله (٤١/١٩) « أن أهل الضلال والبدع الذين فيهم زهد وعبادة على غير الوجه الشرعي ولهم أحياناً مكاشفات وتأثيرات يأوون كثيراً إلى مواضع الشياطين التي نهى عن الصلاة فيها ، لأنَّ الشياطين تتنزل عليهم بها وتخاطبهم الشياطين ببعض الأمور كما تخاطب الكهان ، وكما كانت تدخل في الأصنام وتكلم عابدي الأصنام ، وتعينهم في بعض المطالب كما تعين السحرة ، وكما تعين عباد الأصنام وعباد الشمس والقمر والكواكب إذا عبدوها بالعبادات التي يظنون أنها تناسبها ، من تسبيح لها ولباس وبخور وغير ذلك ؛ فإنه قد تنزل عليهم شياطين يسمونها روحانية الكواكب ، وقد تقضي بعض حوائجهم » .

الذين تخدمهم الشياطين يتقربون إليها بالمعاصي :

هؤلاء الذين يزعمون الولاية والحقيقة أن الشياطين تخدمهم ـ لا بدَّ أن

يتقربوا إلى الشياطين بما تحبه من الكفر والشرك كي يقضوا بعض أغراضه ، ويذكر ابن تيمية (مجموع الفتاوى ٣٥/١٩) أن كثيراً من هؤلاء يكتبون كلام الله بالنجاسة ، وقد يقلبون حروف كلام الله عز وجل ، إمّا حروف الفاتحة ، وإمّا حروف قل هو الله أحد ، وإمَّا غيرهما ـ ويذكر أنهم قد يكتبون كلام الله بالدم أو بغيره من النجاسات ، وقد يكتبون غير ذلك مما يرضاه الشيطان ، أو يتكلمون بذلك .

فإذا قالوا أو كتبوا ما ترضاه الشياطين أعانتهم على بعض أغراضهم : إمّا تغوير ماء من المياه ، وإمّا أن يحمل في الهواء إلى بعض الأمكنة ، وإمّا أن يأتيه بمال من أموال بعض الناس ، كما تسرقه الشياطين من أموال الخائنين ومن لم يذكر اسم الله عليه وتأتي به ، وإما غير ذلك .

رجال الغيب :

يذكر شارح الطحاوية : « أن من الشياطين ما يسميه الناس رجال الغيب ، وأن بعض الناس يخاطبونهم ، وتحصل لهؤلاء خوارق يزعمون بها أنهم أولياء الله ، وأن بعض هؤلاء يعين المشركين على المسلمين ، ويقول إن الرسول أمره بقتال المسلمين مع المشركين ، لكون المسلمين عصوا » .

ويعقب شارح الطحاوية على ذلك قائلاً : « هؤلاء في الحقيقة اخوان المشركين وذكر أن الناس من **أهل العلم في رجال الغيب ثلاثة أحزاب** :

١ ـ حزب يكذبون بوجود رجال الغيب ، ولكن قد عاينهم الناس ، وثبت عمن عاينهم أو حدثه الثقات بما رأوه ، وهؤلاء إذا رأوهم وتيقنوا وجودهم خضعوا لهم .

٢ ـ وحزب عرفوهم ، ورجعوا إلى القَدَر ، واعتقدوا أن ثمَّ في الباطن طريقاً إلى الله غير طريقة الأنبياء .

٣ ـ وحزب ما أمكنهم أن يجعلوا وليّا خارجا عن دائرة الرسول ، فقالوا :

يكون الرسول هو محمداً للطائفتين. فهؤلاء معظمون للرسول جاهلون بدينه وشرعه.

ثم قال مبيناً حقيقة هؤلاء وأتباعهم: والحقُّ أن هؤلاء من أتباع الشياطين وأن رجال الغيب هم الجن، ويسمون رجالاً، كما قال تعالى: «وأنّه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجنّ فزادوهم رهقاً» (سورة الجن / ٦) وإلا فالإنس يؤنسون، أي يشهدون ويرون، وإنما يحتجب الإنس أحياناً، لا يكون دائم الاحتجاب عن أبصار الإنس، ومن ظنهم من الإنس فمن غلطه وجهله.

ثم بين السبب في الاختلاف فيهم وفي افتراق هذه الأحزاب الثلاثة: هو عدم الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن وبين أنه يجب عرض أفعال الناس وأقوالهم وحالهم على الكتاب والسنة فما وافقهما كان صالحاً وما خالفهما كان غالطاً، ومهما فعل الإنسان وتبدى من حاله لا يكون مؤمناً ولا ولياً لله ـ وإن طار في الهواء ومشى على الماء ما لم يكن ملتزماً بالكتاب والسنة (شرح العقيدة الطحاوية ٥٧١ ـ ٥٧٢) فلا بدّ أن يكون عند العبد الميزان الذي يفرق به بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان والصالحين والطالحين وإلا ضّل وزاغ، وظن اعداء الله أولياءه، هذا الميزان هو الكتاب والسنة فإذا كان العبد ملتزماً بهما فنعم، وإلا فإنَّه ليس على شيء ولو رأيناه يحيي الأموات ويحول المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة. يقول ابن تيمية: (ومن لم يميز بين الأحوال الرحمانية والنفسانية اشتبه عليه الحق بالباطل، ومن لم ينوّر الله قلبه بحقائق الإيمان واتباع القرآن لم يعرف طريق المحق من المبطل، والتبس عليه الأمر والحال، كما التبس على الناس حال مسيلمة صاحب اليمامة وغيره من الكذابين في زعمهم أنهم أنبياء وإنما هم كذابون» (جامع الرسائل ص ١٩٧).

وقد ألف ابن تيمية كتاباً عظيماً إذا عرفته تبين لك الفارق الكبير بين

أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ،• بحيث لا يشتبه عليك بعد ذلك أمر أولياء الشيطان ، وقد أسماه « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » .

حكم استخدام الجن :

الذي يظهر أن الله استجاب لسليمان ووهب له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، فإذا حصل طاعة من الجن لأحد من الإنس فلا يكون على سبيل التسخير ، وإنما برضى الجني ، وهل يجوز ذلك ؟ يقول ابن تيمية في (مجموع الفتاوى ٣٠٧/١١) :

الجن مع الإنس على أحوال :

فمن كان من الإنس يأمر الجن بما أمر الله به ورسوله من عبادة الله وحده وطاعة نبيه ، ويأمر الإنس بذلك ، فهذا من أفضل أولياء الله تعالى ، وهو في ذلك من خلفاء الرسول ـ ﷺ ـ ونوابه .

ومن كان يستعمل الجن في أمور مباحة له فهو كمن استعمل الإنس في أمور مباحة له ، وهذا كأن يأمرهم بما يجب عليهم وينهاهم عما حرّم عليهم ويستعملهم في مباحات له ، فيكون بمنزلة الملوك الذين يفعلون مثل ذلك ، وهذا إذا قدّر أنه من أولياء الله فغايته أن يكون في عموم أولياء الله مثل النبي الملك مع العبد الرسول : كسليمان ويوسف مع إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ومن كان يستعمل الجن فيما ينهى الله عنه ورسوله إما في الشرك ، وإمّا في قتل معصوم الدم أو في العدوان عليهم بغير القتل كتمريضه وإنسائه العلم وغير ذلك من الظلم ، وإما في فاحشة كجلب من يطلب منه الفاحشة ، فهذا قد استعان بهم على الإثم والعدوان ، ثمّ إن استعان بهم على الكفر فهو كافر ، وإن استعان بهم على المعاصي فهو عاص : إما فاسق ، واما مذنب غير فاسق .

وإن لم يكن تام العلم بالشريعة فاستعان بهم فيما يظن أنه من الكرامات مثل أن يستعين بهم على الحج ، أو يطيروا به عند السماع البدعي ، أو أن يحملوه إلى عرفات ، ولا يحج الحج الشرعي الذي أمره الله به ورسوله ، وأن يحملوه من مدينة إلى مدينة ، ونحو ذلك فهذا مغرور قد مكروا به » .

تحضير الأرواح

انتشر في عصرنا القول بتحضير الأرواح ، وصدّق بهذه الفِرية كثير من الذين يعدّهم الناس عقلاء وعلماء .

وتحضير الأرواح المزعوم سبيله ليس واحداً ، فمنه ما هو كذب صراح يستعمل فيه الإيحاء النفسي والمؤثرات المختلفة ، والحيل العلمية ، ومنه ما هو استخدام للجن والشياطين .

وقد كشف الأستاذ الدكتور محمد محمد حسين في كتابه (الروحية الحديثة) كثيراً من خداع هؤلاء وتزويرهم للحقيقة ، فهم لا يجرون تجاربهم كلها إلا في ضوء أحمر خافت هو أقرب إلى الظلام ، وظواهر التجسيد والصوت المباشر ونقل الأجسام وتحريكها تجري في الظلام الدامس ، ولا يستطيع المراقب أن يتبين مواضع الجالسين ولا مصدر الصوت ، ولا يستطيع كذلك أن يميِّز شيئاً من تفاصيل المكان كجدرانه أو أبوابه أو نوافذه .

وتكلم الدكتور محمد عن (الخباء) وهو حجرة جانبية معزولة عن الحاضرين أو جزء من الحجرة التي يجلسون فيها تفصل بحجاب كثيف ، وهذا المكان المنفصل معدٌّ لجلوس الوسيط الذي تجري على يديه ظواهر التجسد المزعوم . ومن هذا المكان المحجوب بستار يضاف إلى حجاب الظلام السابق تخرج الأرواح المزعومة متجسدة ، وإليه تعود بعد قليل ، ولا يسمح للحاضرين بلمس الأشباح .

ويرى الدكتور أن الروحيين لا يَعْدِمُون في مثل هذا الجو المظلم قوالب علمية يصببون فيها حيلهم .

والتدليس على الناس بالحيل طريقة قديمة معروفة يضلُّ بها شياطين الإنس عباد الله ، يطلبون الوجاهة عند الناس ، كما يطلبون مالهم ، فقد ذكر ابن تيمية (مجموع الفتاوى ٤٥٨/١١) عن فرقة في عصره كانت تسمى (البطائحية) أنهم كانوا يدعون علم الغيب والمكاشفة ، كما يدعون أنهم يَرَوْن ويُرُون الناس رجال الغيب ، ثمَّ كشف شيئاً من دجلهم ، فقد كانوا يرسلون بعض النساء إلى بعض البيوت يستخبرون عن أحوال أهلها الباطنة ، ثمَّ يكاشفون صاحب البيت بما علموه زاعمين أن هذا من الأمور التي اختصوا بالاطلاع عليها .

ووعدوا رجلاً ـ كانوا يمنونه بالملك ـ أن يروه رجال الغيب ، فصنعوا خشباً طوالاً ، وجعلوا عليها من يمشي كهيئة الذي يلعب بأكر الزجاج ، فجعلوا يمشون على جبل المزة ، وذلك المخدوع ينظر من بعيد فيرى قوماً يطوفون على الجبل ، وهم يرتفعون عن الأرض ، وأخذوا منه مالا كثيراً ثمَّ انكشف له أمرهم .

ودلسوا على آخر كان يدعى (قفجق) إذ أدخلوا رجلاً في القبر يتكلم ، وأوهموه أن الموتى تتكلم ، وأتوا به إلى مقابر باب الصغير إلى رجل زعموا أنه الرجل الشعراني الذي بجبل لبنان ولم يقربوه منه بل من بعيد لتعود عليه بركته ، وقالوا أنه طلب منه جملة من المال ، فقال (قفجق) : الشيخ يكاشف وهو يعلم أن خزائني ليس فيها هذا كله ، وتقرب قفجق وجذب الشعر فانقلع الجلد الذي ألصقوه على جلده من جلد الماعز .

وقد بين الدكتور محمد محمد حسين أن الوسيط ـ وهو شخص يزعم الروحيون أن فيه استعداداً فطرياً يؤهله لأن يكون أداة يجرى عن طريقها التواصل ـ غالباً ما يكون دجالاً كبيراً ، وغشاشاً مدلساً ، وبيَّن كيف أن كثيراً من هؤلاء الوسطاء لا يكون على خلق ولا دين ، بل إن الروحانيين لا

يشترطون في الوسيط شيئاً من ذلك ، وقد ذكر حادثة جرت معه شخصياً تبين له بعد تحقيق منه في الموضوع أن الوسيط كان دجّالاً كاذباً .

وبين كيف أن بعض الحضور يكونون متواطئين مع المحضرين وكيف يحترس في انتقاء الذين يسمح لهم بحضور مثل هذه الجلسات ، وكيف يعللون فشلهم إذا وجد في الحضور بعض الأذكياء النبهاء .

استخدام الجن والشياطين :

أفاض الدكتور محمد محمد حسين في الكشف عن الطريق الأول الذي يزعم الروحانيون أنهم يحضرون به الأرواح ، وهو طريق الدجل والكذب واستعمال المؤثرات النفسية والحيل العلمية .

وأشار مجرد اشارة إلى الطريق الثاني وهو استخدام الجن والشياطين وأرى أن غالبية الدعوات التي يزعم فيها تحضير الأرواح هي من هذا القبيل .

تحضير الأرواح دعوة قديمة :

وبناء على ذلك فهذه الدعوى ليست جديدة بل هي قديمة وقديمة جداً ، وقد نقلنا فيما سبق كيف كان بعض الناس يتصلون بالجن ، بل حفظت لنا كتب الثقات أن بعض الناس كانوا يزعمون أن أرواح الموتى تعود إلى الحياة بعد الموت ، يقول ابن تيمية : « ومن هؤلاء (أي أهل الحال الشيطاني من الكفرة والمشركين والسحرة ونحوهم) من إذا مات لهم ميت يعتقدون أنه يجيء بعد الموت يكلمهم ويقضي ديونه ويرد ودائعه ويوصيهم بوصايا ، فإنهم تأتيهم تلك الصورة التي كانت في الحياة ، وهو شيطان تمثل في صورته فيظنونه إياه » (جامع الرسائل ص ١٩٤/١٩٥) .

تجربة معاصر :

هذه تجربة حصلت مع الكاتب أحمد عز الدين البيانوني ذكرها في كتاب

الإيمان بالملائكة حرصت على نقلها بنصها يقول في هذا الموضوع :

لقد شغل « استحضار الأرواح » المزعوم أفكار الناس في الشرق والغرب ، فكُتبت فيه مقالات ، بلغات مختلفات ، نُشرت في مجلات عربية وغير عربية ، وأُلّفت فيه مؤلفات ، وبحث فيه باحثون ، وجرّبه مجرّبون ، اهتدى بعد ذلك العقلاء منهم إلى أنه كذب وبهتان ، ودعوة إلى كفر وطغيان .

إن استحضار الأرواح ، الذي يزعمه الزاعمون ، كذبٌ ودجل وخداع ، وما الأرواح المزعومة إلا شياطين تتلاعب بالانسان وتخادعه .

وليس في استطاعة أحد ، أن يستحضر روح أحد ؛ فالأرواح بعد أن تفارق الأجساد ، تصير إلى عالم البرزخ .

ثم هي إما في نعيم أو في عذاب ، وهي في شغل شاغل ، عما يدّعيه مستحضرو الأرواح .

وقد دُعيتُ أنا إلى ذلك ، من قبل هذه الأرواح ، وجرّبته بنفسي تجربة طويلة ، وظهر لي انه كذب ودجل وخداع ، على أيدي شياطين تتلاعب ، غرضهم من ذلك تضليل الناس وخداعهم ، وموالاة من يواليهم ...

بدء التجربة :

عرفت منذ أكثر من عشر سنوات تقريباً ، رجلاً يزعم أنه يستخدم الجن في أمور صالحة في خدمة الانسان ، وذلك بواسطة وسيط من البشر .

ويزعم أنه توصّل إلى ذلك بتلاوات وأذكار طويلة ، قضى فيها زمناً طويلاً ، دلّه عليها بعض من يزعم أنه على معرفة بهذا العلم !

جاءني الوسيط ذات يوم يبلغني دعوة فلانٍ وفلانة من الجن ، لحديث هام ، لي فيه شأن عظيم .

فذهبت في الموعد المحدد ، متوكلاً على الله تعالى فرحاً بذلك ، لأطّلع

في هذه التجربه على جديد .

كيف بدأت المخادعة ؟

من أول أساليب الخداع التي سُلكتْ معي ، أن طريقة الاستحضار ، استغفار وتهليل وأذكار ، مما يجعل الانسان لأول وهلة ، يظن أنه يتحدث مع أرواح علوية صادقة طاهرة .

دخلت بيت الوسيط ، وخلونا معاً في غرفة ، وجلس هو على فراش ، وبدأنا ـ بدلالته طبعاً نستغفر ونهلل ـ حتى أخذتْه إغفاءة ، فأضجعتُه أنا على فراشه ، وسجيَّته بغطاء كما علّمني أن أفعل ، وإذا بصوت خافت ، يسلّم صاحبه عليّ ، ويظهر حفاوته بي وحبه ، ويعرفني بنفسه ، أنه مخلوق ، يزعم أنه ليس من الملائكة ، ولا من الجن ، ولكنه خلق آخر ، من نوع آخر ، وُجد بقوله تعالى : « كن » فكان .

وهذا على زعمه أن الجن ، لا يصدرون إلا عن أمره ، وأن بينه وبين الله تعالى في تلقّي الأوامر أربعة وسائط فقط ، خامسهم جبريل عليه السلام .

وأخذ يثني عليَّ ، ويقول : إنهم سيقطعون كل علاقة لهم بالبشر ، وسيكتفون بلقائي ، لأني على زعمهم صاحب الخصوصية في هذا العصر ، وموضع العناية من الله تعالى ، وأن الله تعالى ، هو الذي اختارني لذلك .

ووعدني بوعود رائعة ، فيها العجب العجاب .

واستسلمت لهذه التجربة الجديدة ، والدعوة الخادعة ، متوكلاً على الله عز وجل ، سائلاً الله تعالى أن يعصمني من الزلل ، وأن يهديني إلى الحق المبين ، مستضيئاً بنور العلم ، سالكاً سبيل الاستقامة والحمد لله تعالى .

ولما انقضى اللقاء الأول ، دعاني إلى لقاء آخر ، في موعد آخر ، ثم دلني هو نفسه ، على تلاوة خاصة لايقاظ الوسيط من غَيْبته .

وكان ذلك ، وجلس الوسيط ، وعرك عينيه ، كأنه انتبه من نوم عميق ،

ولا علم له بشيء مما جرى .

ورجعت في الموعد المحدد أيضاً ، وتمَّ بيننا لقاء بعد لقاء مدة طويلة ، وفي كل لقاء ، تتجدد الوعود الحسنة ، ويوصف لي المستقبل الرائع ، الذي ينتظرني ، والنفع العظيم الذي تلقاه الأمة على يدي .

تطور الموضوع :

وتطور الأمر ، فأخذ كثير من الأرواح يزورني في كل لقاء ، بمقدمات من الأذكار ، وبغير مقدمات ، فقد أكون مع الوسيط على طعام ، أو على تناول كأس من الشاي ، فتأخذه الاغفاءة المعهودة ، فيميل رأسه إلى الأمام ، وتلتصق ذقنه بصدره ، ويحدثني الزائر الذي يزعم أنه من الملائكة ، أو من الجن ، أو من الصحابة ، أو من الأولياء ، حديثاً يغلب عليه طابع الاحترام والاجلال ، والتبرك بزيارتي ، وتبشيري بالمستقبل الزاهر المبارك ، ثم ينصرف ، ويجيء غيره وغيره ...

من هم الزائرون ؟

زارني فيما زعموا أفراد من الملائكة ، وأفراد من الجن ، وأبو هريرة رضي الله عنه من الصحابة ، وطائفة من الأولياء ، أمثال أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ، وطائفة من أهل العلم والفضل ، المشهود لهم بالعلم والولاية ، أمثال الشيخ أحمد الترمانيني رحمه الله تعالى ، وبعض من أدركتهم من أهل العلم والفضل ، ثم أدركتهم الوفاة ، ومنهم والدي رحمه الله تعالى .

وبشّروني بزيارة والدي إياي ، في وقت عيّنوه ، وانتظرت الموعد بلهف ، ولما كان الموعد المنتظر ، كلفوني أن أقرأ سورة « الواقعة » جهراً ، فقرأتها ، ولما فرغت من قراءتها ، قالوا :

سيحضر والدك بعد لحظات ، فاسمع ما يقول ، ولا تسأله عن شيء ! ! !

بدء انتباهي :

وبعد دقائق جاءني جاء يزعم أنه أبي ، فسلم عليّ ، وأظهر سروره بلقائي ، وفرحه بي على صلتي بهذه بالأرواح ، وأوصاني أن أعتني بالوسيط وأهله ! وأن أرعاه رعاية عطف وإحسان ، إذ لا مورد له من المال إلا من هذا الطريق .

وختم حديثه بالصلوات الابراهيمية ، وأنا أعلم أنه رحمه الله تعالى ، كان شديد الولع بالصلاة على النبي ﷺ ولا سيما الابراهيمية .

وكان من العجب أن لهجة المتحدث شبيهة لحدٍ ما بلهجة الوالد .

ثم سلم وانصرف .

وأخذت أتساءل في نفسي : لم أوصوني أن لا أسأله عن شيء ؟ !

في الأمر سر ولا شك ! . .

السر الخفي الذي انكشف لي آنذاك ، أنه ليس بوالدي ، ولكنه قرينه من الجن ، الذي صحبه مدة حياته ، فجاءني يمثّل لي صوته ، ويتشبّه بخصوصية من خصوصياته .

أوصوني أن لا أسأله عن شيء ، لأن القرين من الجن ، مهما عرف من شأن والدي وحفظ من أحواله ، فلن يستطيع أن يحفظ كل جزئية يعرفها الولد من أبيه ، فحذروا أن أسأله عن شيء من ذلك ، فلا يجيبني ، فيُفتضح الأمر .

ثم سلكوا معي في لقائي مع الآخرين ، أن لا يعرّفوني بأسمائهم إلا عند انصرافهم ، فيقول أحدهم : أنا فلان ، ويسلّم ، وينصرف على الفور .

وفي ذلك من السر ما ذكرت : فلو أخبرني واحد منهم عن نفسه ، وهو مشهود له بالعلم ، فبحثت معه في إشكال علمي ، لعجز عن الجواب ،

وانكشف الأمر .

وقد أتاني آتٍ مرة يناقشني في إباحة كشف وجه المرأة ، وأنه ليس بعورة . فرددت عليه ، وردَّ عليَّ رداً ليس فيه رائحة العلم ، واحتدم الجدال بيننا .

فقلت له : وماذا تجيب عن أقوال الفقهاء الذين قالوا :

إن وجه المرأة عورة ، أو يجب ستره خشية الفتنة ؟

وانتهى الجدال إلى غير جدوى ، ثم أخبرني أنه هو الشيخ أحمد الترمانيني ، وانصرف .

فانكشف لي أنه الكذب لا شك فيه ، لأن الشيخ المذكور من كبار فقهاء الشافعية، والسادة الشافعية يقولون :

المرأة كلها عورة ، ولو عجوزاً شمطاء .

فلو أنه كان هو الشيخ المذكور ، وانكشف له من العلم جديد وهو في عالم البرزخ ، لأخبرني بذلك ، وأرشدني إلى دليله .

ولكنه الكذب والخداع ، وإرادة التضليل . وأبى الله تعالى ـ والحمد لله ـ إلا هداي ، وثباتي على الحق والهدى .

فكشفُ المرأة وجهها ولا سيما في هذا الزمان الفاسد والمجتمع المريض ، أمرٌ لا يُقره ذو عقل ودين .

انكشاف الحقيقة !

ولم تزل تنكشف لي الحقيقة على وجهها مرة بعد مرة ، وفي تجربة بعد تجربة ، حتى تحقق عندي أن الأمر كله كذب وبهتان ، ودجل وطغيان ، لا أساس له من تقوى ، ولا قائمة له على دين :

فالوسيط الذي يعتنون بشأنه ، ويوصون بحسن رعايته وإكرامه تارك صلاة ، ولا يأمرونه بها .

وهو يحلق لحيته ، ولا يأمرونه باطلاقها .

ثم هو يأكل أموال الناس بالباطل ، وبالوعود الخادعة ، ولا مورد له إلا من هذا الطريق الخبيث .

جاءني رجل بعدما عرف صلتي بهذا الوسيط ، يشكو إليّ أنه خدعه ، فأخذ منه ثلاثمئة ليرة سورية ، وهو فقير وفي أشد الحاجة إليها .

فألزمت الوسيط بردها إليه ، فاستجاب لذلك حرصاً منه ومن شياطينه على بقاء صلتي بهم .

والوسيط وأسرته تقوم حياتهم على الكذب في أكثر شؤونهم .

الخاتمة :

وقد حاولتْ هذه الأرواح بعدما انكشف لي أمرها أن تسلك معي مسلك التهديد ، فلم يزلزل ذلك من قلبي شيئاً ، والحمد لله تعالى .

وقد كنت كتبت في هذه المدة الطويلة مما حدثوني به ما ملأ دفترين كبيرين ، جمعت فيهما أكثر ما حدثوني به .

ولما ظهر الباطل ظهوراً لا يحتمل التأويل ، قطعت الصلة بهم ، وحكمت عليهم بما حكمت ، وأحرقت الدفترين اللذين امتلآ بالكذب والخداع .

فهذه الأرواح التي تدعي انها أرواح رجال من الصحابة والأولياء والصالحين ، كلها شياطين ، لا ينبغي لمؤمن عاقل أن ينخدع بها .

وجميع الصور التي اعتادها مستحضرو الارواح كذب وباطل .

سواء في ذلك طريقة الوسيط التي ذكرتها وجربتها ، وطريقة المنضدة والفناجين ، التي ذكرها لي بعض من جرّبها ، ووصل إلى النتيجة التي وصلت إليها .

ومن عجيب الأمر أني قرأت بعد ذلك كتباً مؤلفةً في هذا الموضوع ،

فإذا بالمجرّبين العاقلين وصلوا إلى مثل ما وصلت إليه ، وحكموا على تلك الأرواح ، أنها قرناء بني آدم من الجن ، كما هداني الله تعالى إلى ذلك من قبل ، والحمد لله .

وقد أديت بكلمتي هذه النصح الواجب ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

خطر هذه الدعوات :

هذه الدعوات التي تزعم أن بامكانها تحضير الأرواح اتخذها شياطين الجن والإنس سبيلاً لافساد الدين ، فهذه الأرواح التي تُحضّر وهي في الحقيقة شياطين تتكلم بكلام يحطم الدين وينسفه ، وتقرّ مبادىء ومثلا جديدة تعارض الحق كل المعارضة ، ففي واحدة من هذه الجلسات زعمت الروح (الشيطان) على لسان الوسيطة أن جبريل قد حضر هذه الجلسة ولما كان الحضور لا يعرفون جبريل قالت : (ألا تعرفون جبريل الذي كان ينزل بالقرآن على محمد ؟ ! إنه يبارك هذا الاجتماع) وينقل الدكتور محمد محمد حسين عن مجلة (عالم الروح) من مقال لها بعنوان (حديث الروح الكبير هوايت هوك) ما يأتي : (يجب أن نتحد في هذه الحركة . في هذا الدين الجديد . يجب أن تسودنا المحبة . ويجب أن تكون لنا قدرة على الاحتمال والتفاهم .. رسالتي (الروح المتحدث هنا أي الشيطان) أن أواسي المحروم ، وأساعد الإنسان على تحرره في نفسه من الله تعالى : (وصدق فهذه رسالته أي يجعله يكفر بالله) الإنسان إله مكسو بعناصر الأرض (هكذا ينفخ في الإنسان ويكذب عليه ليضله) وهو لن يدرك ما في مقدوره هو ما لم يحس بجزئه الملائكي الإلٓهي ... الروحية ستكون أقدر من غيرها على تأسيس دين جديد واسع للعالم كله) .

وينقل عن هذه المجلة أيضاً تعريفاً بالمنظمة التي أسست لهذه الغاية (إن هذه المنظمة ستكون لكل البشرية وعن طريقها سوف يوضح لنا سكان العالم الروحي طريقة جديدة للحياة ، ويعطوننا فكرة جديدة عن الله ومشيئته ،

إنهم سوف يأتون لنا بالسلام والطمأنينة الروحية وبسعادة النفس والقلب . سوف يحطمون الحواجز بين الشعوب والأفراد وبين العقائد والأديان (هكذا) ... ان العضوية في هذه المنظمة بدون نظر للوطن أو اللون أو الدين أو المذهب السياسي) .

وتزعم الأرواح أنها رسل مرسلة من عند الله ، فالدكتور يذكر أن محمد فريد وجدي نقل عن هذه الأرواح (أي الشياطين) قولها « نحن مرسلون من عند الله كما أرسل المرسلون قبلنا ، غير أن تعاليمنا أرقى من تعاليمهم ، فإلهنا هو إلههم ، إلا أن إلهنا أظهر من إلههم وأقل في صفات بشرية وأكثر صفات إلهية ... لا تخضع لأيّ عقيدة مذهبية . ولا تقبل بلا بصر ولا روية تعاليم لا تستند إلى العقل » .

وهم يزعمون أن الرسل والأنبياء ما هم إلا وسطاء على درجة عالية من الوساطة ، وأن المعجزات التي جرت على أيديهم ليست إلا ظواهر روحية كالظواهر التي تحدث في حجرة تحضير الأرواح ، ويزعمون أنهم يستطيعون أن يعيدوا احداث كل ما نسب للمسيح من أرواح وقد قامت بعض الصحف بحملة دعائية كبيرة زعمت أن أحد محضري الأرواح في أمريكا يستطيع أن يقوم بمثل معجزات المسيح فهو يعيد البصر إلى الأعمى والنطق إلى الأبكم والحركة للمشلول ، بقي أن تعلم أن هذا الطبيب المزعوم طفل في العاشرة من عمره يدعى (ميشيل) ، وعندما يأتيه المريض يضع أنامله عليه ويتمتم ببعض الأدعية والكلمات فتحدث المعجزة . ويقولون إن هذا الطفل ورث الموهبة الروحانية عن والده ، وهو لا يتقاضى شيئاً من المال عمّا يقوم به من أعمال . (راجع ملحق جريدة القبس الكويتية ١٩٧٧/١٠/١٧) ووراثة هذا الطفل لهذه الأعمال من أبيه تذكرنا بقصة تروى في بعض نواحي فلسطين ، يقول الرواة إن أحد الرجال الذين كانوا يظهرون الصلاح والتقى ، كان يفعل عجباً ، فقد كان ـ في ذلك الوقت الذي لم تظهر فيه الطائرة والسيارة ـ

ينطلق إلى الحج في ليلة عرفة فيشهد ذلك اليوم مع الحجيج ويسلمهم رسائل من أقاربهم وذويهم ، ويأخذ منهم رسائل إلى أقاربهم ويعود في الليلة الأخرى ، وكان كثير من الناس يعتقد فيه الصلاح والخير ، رغم أنه ما كان يقوم بمناسك الحج ولا يمكث في منى المدة المقررة ولا يرمي الجمـرات، ثمَّ شاء الله أن يكشف باطله ويظهر أمره للناس ، فعندما جاءه الموت استدعى ابنه الأكبر وأخبره أن جملاً سيأتيه ليلة عرفة ويحمله إلى عرفات في كل عام ، ولما جاء الجمل وركبه الابن وسار مسافة وقف وتحدث إلى الابن وأخبره أنه شيطان وأن أباه كان يعبده ويسجد له ، وفي مقابل ذلك يخدمه مثل هذه الخدمات ، ولما رفض الابن السجود له واستعاذ بالله منه تركه في الصحراء وقدر الله له الرجوع وكشف حقيقة أبيه الكافر .

وقد أشار إلى هذه القصة البيانوني في كتابه الملائكة بأخصر مما أثبتناه هنا .

هل يمكن استحضار الأرواح ؟

لقد وضعت مجلة (سينتفيك أمريكان) جائزة مالية ضخمة لمن يقيم الحجة على صدق الظواهر الروحية ولا تزال الجائزة قائمة لم يظفر بها أحد رغم انتشار الروحيين ونفوذهم وبراعتهم في أمريكا . وقد ضم إلى هذه الجائزة جائزة أخرى تبرع بها الساحر الامريكي دننجر للغرض نفسه ولم يظفر بها أحد أيضاً .

ولكن ما موقف الإسلام من امكان احضار روح المتوفي ؟ إن التأمل في النصوص التي وردت في هذا تجعل الباحث يعتقد جازماً أن ذلك مستحيل ، فقد أخبر نا الله تعالى أن الروح من عالم الغيب الذي لا سبيل إلى إدراكه (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) (سورة الإسراء ٨٥) .

وأخبر أنه يتوفى الأنفس وأنه يمسك النفوس عند الموت (الله يتوفى

الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) (سورة الزمر / ٤٢) وقد وكل الله بالأنفس ملائكة يعذبونها إن كانت شقية كافرة ، وينعمونها إن كانت صالحة تقية .

وقد بين لنا الرسول ـ ﷺ ـ كيف يقبض ملك الموت الأرواح وما يفعل بها بعد ذلك .

والأرواح إذ كانت مُمْسَكة عند ربها موكل بها حَفَظَةٌ أقوياء مهرة ، فلا يمكن أن تتفلت منهم وتهرب لتأتي إلى هؤلاء الذين يتلاعبون بعقول العباد .

وبعض هؤلاء يزعم أنه حضَّر روح عبد من عبيد الله الصالحين من الأنبياء والشهداء ، فكيف يتركون جنان الخلد إلى حجرة التحضير المظلمة ، فقد أخبرنا الله أن الشهداء أحياء عند ربهم (ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ..) (سورة آل عمران / ١٦٩) وقد بين الرسول ـ ﷺ ـ (أن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في رياض الجنة ، تأكل من ثمارها وتشرب من أنهارها وتأوي إلى قناديل معلقة في سقف عرش الرحمن) فكيف يزعم دجالو العصر أنهم يحضرون أرواح هؤلاء ؟ كيف؟ (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً) .

شبهة وجوابها :

يقولون فكيف تعللون معرفة الأرواح بأخلاق وأعمال الرجل الذي تزعم أنها كانت تسكنه ؟.

قلنا هذا الذي يزعم أنه روح إنما هو شيطان ، ولعلَّ هذا الشيطان هو القرين الذي كان يلازم الإنسان ، وقد ذكرنا النصوص التي تدل على أن لكل إنسان شيطاناً ، فهذا القرين الملازم للإنسان يعلم عنه الكثير من أخلاقه وعاداته وصفاته ويعرف أقاربه وأصدقاءه .

فعندما يختبر ما أسهل أن يجيب لأنَّه على علم ودراية فإن قيل كيف تفسرون الاجابات العلمية التي قد يحصل عليها من الأرواح . نقول : سبق أن بيَّنا أن الشياطين والجن لديهم القدرات العلمية التي تمكنهم من الإجابة والإفادة .

ولكنها إفادة تحمل في طياتها الاضلال العظيم ، فهم لا يفيدوننا إلا بمقدار كي نثق بهم ثم يوجهوننا الوجهة الضالة السيئة التي توبقنا في دنيانا وأخرانا .

تخلي الشياطين عن أتباعها :

هؤلاء الذين يُدعون (الروحانيون) ويزعمون أنهم يحضرون الأرواح ويعالجون بها كاذبون ، وما هذه الأرواح إلا شياطين ، وقد تتخلى الشياطين عن هؤلاء فتذلهم وتخذلهم ، نشرت جريدة القبس الكويتية في ملحقها بتاريخ ٧٨/٦/١٢ مقالاً جاء فيه : بريطانيا بأسرها تتحدث هذه الأيام عن العالم الروحاني (بيتر غودوين) الذي كان يتمتع بمواهب (روحانية) خارقة ، يستطيع بواسطتها أن يشفي المرضى من الأمراض المستعصية ويكشف الأشياء المفقودة ، ويسخر الأرواح لخدمة الإنسان .

وكان بيتر غودوين يتمتع بمقدرة فريدة يستطيع بواسطتها التواجد في أكثر من مكان في وقت واحد ، فقد كان يشاهده اصدقاؤه في لندن مثلاً ، ويشاهده آخرون في نفس اللحظة في ليفربول ، وآخرون في مانشستر بينما يؤكد فريق رابع انه لم يكن في هذا المكان ولا ذاك ، وانما كان يجلس في منزله بين زوجته وأولاده .

واحياناً ، كانت اجساده الاثيرية المختلفة تتجمع في مكان واحد ، فيكون جالساً بين اضدقائه مثلاً ، وفجأة .. تدخل عليهم جميعاً شخصيته الأخرى .. وتشاركهم الجلسة .. وتأتي شخصيته الثالثة ، والرابعة والخامسة

بعدها ، ويصبح بيتر غودوين عبارة عن خمس شخصيات تجالس الحضور ، وتتحدث اليهم ، أو تتحدث مع بعضها البعض .. بينما يكون الجميع مبهورين .. وفجأة خسر بيتر غودوين كل شيء وتحول إلى انسان عادي ، ولم يعد بقادر على شفاء المرضى ، ولا اكتشاف الاشياء المفقودة ولا كشف المستقبل ، ولا تسخير الأرواح لخدمة الناس .

وقد بدأت مأساة غودوين في السنة الماضية عندما حاول استغلال المواهب التي منحها الله له لتحقيق مكاسب مادية .. وهو ينظر الآن الى الماضي القريب ويقول: إن ما حدث لي ، لم يكن في الحسبان ، فقد غضبت الأرواح مني ، وسلبتني بركاتها .

بداية القصة :

والقصة أن بيتر غودوين حاول في السنة الماضية أن يقيم مراكز للعلاج الروحي في طول بريطانيا وعرضها ، وان ينشيء مركزاً في كل مدينة كبيرة في بريطانيا ، ولذلك نشر اعلاناً في صحيفة بونماوت المسائية ، يطلب فيه متدربين للابحاث الروحية ، بدوام كامل أو بنصف دوام ، المشروع يحقق دخلاً يعادل ٤٠ ـ ٥٠ جنيها في الأسبوع .

وبعد ان نشر بيتر غودوين اعلانه بدأت الطلبات تنهال عليه ، ومن بين الذين استجابوا للطلب كاتب في التاسعة والعشرين من عمره اسمه روبين لاسي،وامرأة في الخامسة والستين من عمرها اسمها جين بارتليت ورجل في الثلاثين اسمه ارتر جفري.ولكن ، ما ان بدأ بيتر غودوين باجراء المقابلات ، حتى بدأت متاعبه ، يقول روبين لاسي :

« فوجئت عندما حضرنا للمقابلة ان بيتر غودوين نفسه غير موجود ، وان التي تجري المقابلة لنا امرأة خمسينية يساعدها شاب وامرأة صغيرة السن ، فاتنة الجمال .. ووزعت علينا اسئلة وطلب منا الإجابة عليها ، ومن بين الأسئلة :

هل شاهدت ارواحاً في حياتك ؟ هل تؤمن بنتائج الأرواح ؟ هل تتناول المخدرات ؟ هل سبق أن زرت مستشفى للامراض العصبية ؟ وقالت لنا المرأة الخمسينية أن بيتر غودوين سيقيم مركزاً روحياً في كل مدينة في بريطانيا وانه سيدربنا على العلاج الروحي بحيث نصبح قادرين على العمل في هذه المراكز ، ثم يرسل الزبائن الينا ، على أن نتقاضى خمسة جنيهات استرلينية عن الجلسة الواحدة ، ونعالج ما يعادل ٤٠ شخصاً في الأسبوع .. بشرط أن يقتطع بيتر غودوين لنفسه نصف أول خمسة آلاف جنيه استرليني والنصف الباقي لنا .. وقد اصيب معظمنا بخيبة الأمل من ذلك وتعالت صيحات الاحتجاج ضد ذلك ، من الاشخاص الذين تقدموا بطلبات وغادر معظمنا الغرفة دون أن يكمل تعبئة الطلبات .

ماذا يقول شهود عيان ؟

ومع ذلك ، فقد تم اختيار البعض وسمح لهم بمقابلة بيتر غودوين في غرفة أخرى ، وقد دامت مقابلة الشخص الأول ٢٠ دقيقة ، بدأت تتقلص ، وعندما جاء دور الشخص الأخير استمرت المقابلة خمس دقائق وفي النهاية تم اختيار بضعة اشخاص ، على ان يتولى بيتر غودوين تدريبهم .

ومن الاشخاص الذين تم اختيارهم جين بارتليت ، وهي مهندسة ديكور متقاعدة ، وزوجها ارثر بارتليت .. تقول جين :

« لم استوعب شيئاً مما علمه بيتر غودوين لي ، كان دائماً بادي الاضطراب اثناء التدريب ، وفي الآونة الأخيرة ، صار يلجأ الى تسجيل محاضراته على اشرطة تسجيل ، ويتحدث فيها عن آفاق الانسان في الحياة ، وطلب منا مرة أن نصنع تماثيل من الطين تشبه الانسان ، وعلمنا قراءة بعض التعاويذ عليها ، ولكن كل ذلك لم يجد شيئاً .. وزودنا بيتر غودوين بملاحظات لم نفهم منها شيئاً » .

اما ارثر جفري ، وزوجته انجيلا ، فقد كانا من ضمن الأشخاص الذين تم اختيارهم ؛ تقول انجيلا :

« في البداية ، احسسنا بأن الجو العلمي هو السائد في الدروس والمحاضرات ، ولكن غودوين كان دائم الاضطراب ، وبدأ يفقد تأثيره شيئاً فشيئاً ، وبعد بضعة أيام اصبح مجرد انسان عادي ، مثلنا ، لا يتمتع بأية مقدرة خارقة ، وقد لمسنا ذلك لأنه لم يعد يمارس اعاجيبه أمامنا ، بل أصبح يسجل محاضراته على شريط تسجيل ونسمعها نحن من الشريط دون أن نراه ، ولذلك امتنعنا جميعاً عن حضور المحاضرات وتوقفنا عن دفع المصاريف التي كنا ندفعها له ، بمعدل عشرة جنيهات استرلينية للدرس الواحد » .

ومن مكتبه في باسنكسشوك في هانز ، قال بيتر غودوين الرجل الذي خسر ثقة الأرواح به : « كانت خطتي تقضي أن أنمي قوى تلاميذي الروحية ، ثم أمنحهم شهادة تثبت ذلك لكي يتمكنوا من ممارسة عملهم ، فيستفيدوا بذلك ويفيدوا ، واستفيد ، وعلى الرغم من أنني تلقيت عدة رسائل روحية بأن لا استغل المواهب التي منحنى الله إياها للكسب المادي إلا أنني لم استمع ، فكانت النتيجة أن بدأت مقدرتي تتلاشى إلى أن اختفت تماماً . أمّا كيف حدث ذلك ، فإنني لا أعرف حتى الآن » .

تعليقنا على هذه الحادثة :

١ ـ ما زعمه هذا الرجل من أنه كان يحضر الأرواح لا دليل عليه ، ومما يدل على أنه كان يحضر الشياطين أنّه أمر أتباعه بصنع تماثيل وقراءة تعاويذ معينة وهذا ما يرضي الشيطان ويغضب الرحمن .

٢ ـ إذا قلنا إن هذه الأرواح شياطين تحل لنا ظاهرة وجود (بيتر) في أكثر من مكان في وقت واحد ، لأن الشياطين لديها القدرة على التشكل بشكل الإنسان .

وهذا كان يحدث في الماضي ولا يزال يحدث فإبليس جاء المشركين في غزوة بدر في صورة سراقة بن مالك ويحكي ابن تيمية من هذا شيئاً كثيراً ، وأنا أسوق شيئاً من كلامه ليتبين للقارىء أن هذا موجود من قديم ، يقول ابن تيمية عن نفسه : « إن طائفة من أصحابي ذكروا أنهم استغاثوا بي في شدائد أصابتهم ، أحدهم كان خائفاً من الأرمن ، والآخر كان خائفاً من التتر ، فذكر كل منهم أنه لما استغاث بي رآني في الهواء وقد دفعت عنه عدوه ، فأخبرتهم (المخبر ابن تيمية) أني لم اشعر بهذا ، ولا دفعت عنكم شيئاً ، وإنما هذا شيطان تمثّل لأحدكم فأغواه لما أشرك بالله تعالى » .

يقول : « وهكذا جرى لأكثر من واحد من أصحابنا المشايخ مع أصحابهم ، يستغيث أحدهم بالشيخ فيرى الشيخ قد جاء وقضى حاجته ، ويقول ذلك الشيخ : إني لم أعلم بهذا ، فيتبين أنَّ ذلك كان شيطاناً » .

ويقول أيضاً : « وقد قلت لبعض أصحابنا لما ذكر لي أنه استغاث باثنين كان يعتقدهما وأنهما أتيناه في الهواء ، وقالا له : طيب قلبك ، نحن ندفع هؤلاء عنك ونفعل ونصنع .

قلت له : فهل كان من ذلك شيء؟ فقال : لا . فكان هذا مما دله على أنهما شيطانان ، فإن الشياطين وإن كانوا يخبرون الإنسان بقضية أو قصة فيها صدق فإنهم يكذبون أضعاف ذلك ، كما كانت الجن يخبرون الكهان » .

٣ ـ ان شياطين بيتر تخلت عنه كما كانت تتخلى الشياطين التي تتصور بصورة الشيوخ عمن وعدتهم الحماية والنصر ، وكما تخلى الشيطان عن الراهب بعد أن وعده بالنصر وفي ذلك إذلال لهذا الذي كان بالأمس موضع احترام الناس وتقديرهم .

٤ ـ زعم (بيتر) أن هذه الأرواح تأييد من الله كذب لا دليل عليه .

الجنّ وعلم الغيب

شاع لدى كثير من الناس أن الجن يعلمون الغيب ، ومردة الجنّ يحاولون أن يؤكدوا هذا الفهم الخاطىء عند البشر ، وقد أبان الله للناس كذب هذه الدعوى عندما قبض روح نبيّه سليمان ـ وكان قد سخر له الجنّ يعملون بين يديه بأمره ـ وأبقى جسده منتصباً ، واستمرّ الجن يعملون ، وهم لا يدرون بأمر وفاته ، حتى أكلت دابة الأرض عصاه المتكيء عليها ، فسقط ، فتبين للناس كذبهم في دعواهم أنهم يعلمون الغيب : (فلما قضينا عليه الموت ، ما دلّهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته ، فلما خرّ تبينت الجنُّ أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) (سورة سبأ /١٤) .

وقد سبق القول كيف أنهم كانوا يسترقون خبر السماء ، وكيف زيد في حراسة السماء بعد بعثة الرسول ﷺ ، فقلّما يستطيع الجن استراق السمع بعد ذلك .

العرّافون والكهان :

وبذلك يعلم عظم الخطأ الذي يقع فيه عوام الناس باعتقادهم أن بعض البشر كالعرافين والكهان يعلمون الغيب ، فتراهم يذهبون إليهم يسألونهم عن أمور حدثت من سرقات وجنايات ، وأمور لم تحدث مما سيكون لهم ولأبنائهم ، ولقد خاب السائل والمسئول ، فالغيب علمه عند الله ، لا يظهر الله عليه إلا من شاء من عباده الصالحين : (عالم الغيب ، فلا يظهر على غيبه أحداً ، إلا من ارتضى من رسول ، فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ؛ ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ، وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً) (سورة الجن /٢٦ ـ ٢٨) .

والاعتقاد بأنَّ فلاناً يعلم الغيب اعتقاد آثم ضال يخالف العقيدة الإسلامية الصحيحة التي تجعل علم الغيب لله وحده .

أمّا إذا تعدى الأمر إلى استفتاء أدعياء الغيب فإن الجريمة تصبح من العظم بمكان ، ففي صحيح مسلم ومسند أحمد عن بعض أزواج النبي - ﷺ - عن النبي - ﷺ - قال : (من أتى عرافاً فسأله عن شيء ، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة) .

وتصديق هؤلاء كفر كما في المسند عن أبي هريرة أن النبي - ﷺ - قال : (من أتى عرافاً أو كاهناً ، فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد) .

قال شارح العقيدة الطحاوية : (والمنجم يدخل في اسم (العراف) عند بعض العلماء ، وعند بعضهم هو في معناه - ثم قال - فإذا كانت هذه حال السائل ، فكيف بالمسئول ؟) ومراده إذا كان السائل لا تقبل له صلاة أربعين يوماً ، وإذا كان الذي يصدق الكاهن والعراف يكفر بالمنزل على الرسول - ﷺ - فكيف يكون حكم الكاهن والعراف ؟

سؤال العرافين والكهنة على وجه الامتحان :

يرى ابن تيمية أن سؤال الكهنة بقصد امتحان حالهم ، واختبار باطنهم ، ليميز صدقهم من كذبهم - جائز ، واستدل بحديث الصحيحين : « أنَّ النبي - ﷺ - سأل ابن صياد ، فقال : ما يأتيك ؟ فقال : يأتيني صادق وكاذب . قال : ما ترى ؟ قال : أرى عرشاً على الماء ، قال : فإني قد خبأت لك خبيئا ، قال : الدخ ، الدخ . قال : اخسأ ، فلن تعدو قدرك ، فإنما أنت من إخوان الكهان » . فأنت ترى أن الرسول - ﷺ - سأل هذا الدعيّ ليكشف أمره ويبين للناس حاله .

المنجمون :

وصناعة التنجيم التي مضمونها : الأحكام والتأثير ، وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية أو التمريح بين القرى الفلكية والفوايل الأرضية : صناعة محرمة بالكتاب والسنة ؛ بل هي محرمة على لسان جميع المرسلين ، قال تعالى : (ولا يفلح الساحر حيث أتى) ، (طه : ٦٩) .

وقال تعالى : (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) (سورة النساء / ٥١) قال عمر بن الخطاب : الجبت السحر . (شرح العقيدة الطحاوية ٥٦٨) .

شبهة :

قد يزعم قائل أن العرافين والكهنة والمنجمين يصدقون أحياناً ، والجواب : أن صدقهم في كثير من الأحيان يكون من باب التلبيس على الناس ، فإنهم يقولون للناس كلاماً عاماً يحتمل وجوهاً من التفسير ، فإذا حدث الأمر فإنّه يفسره لهم تفسيراً يوافق ما قال .

وصدقهم في الأمور الجزئية إمّا أنه يرجع إلى الفراسة والتنبؤ ، وإمّا أن تكون هذه الكلمة الصادقة مما خطفه الجن من خبر السماء . ففي الصحيحين ومسند أحمد عن عائشة ، قالت : سئل رسول الله ـ ﷺ ـ عن الكهان ؟ فقال (ليسوا بشيء) . فقالوا : يا رسول الله ، إنهم يحدثون بالشيء يكون حقًا ! فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : (تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى ، فيقرها في أذن وليه ، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة) . وإذا كانت القضية التي صدق فيها من الأمور التي حدثت كمعرفته بالسارق ، أو معرفته باسم الشخص الذي يقدم عليه لأول مرة وأسماء أبنائه وأسرته ، فهذا قد يكون بحيلة ما ، كالذي يضع شخصاً ليسأل الناس وتكون عنده وسيلة لاستماع أقوالهم قبل أن يمثلوا بين يديه ، أو يكون هذا من فعل الشياطين ، وعلم

الشياطين بالأمور التي حدثت ووقعت ليس بالأمر المستغرب .

الكهنة رسل الشيطان :

يقول ابن القيم (الإغاثة ٢٧١/١) : (الكهنة رسل الشيطان ؛ لأن المشركين يهرعون إليهم ، ويفزعون إليهم في أمورهم العظام ، ويصدقونهم ، ويتحاكمون إليهم ، ويرضون بحكمهم ، كما يفعل أتباع الرسل بالرسل ، فإنَّهم يعتقدون أنهم يعلمون الغيب ، ويخبرون عن المغيبات التي لا يعرفها غيرهم ، فهم عند المشركين بهم بمنزلة الرسل ، فالكهنة رسل الشيطان حقيقة ، أرسلهم إلى حزبه من المشركين وشبَّههم بالرسل الصادقين ، حتى استجاب لهم حزبه ، ومثل رسل الله بهم لينفر عنهم ، ويجعل رسله هم الصادقين العالمين بالغيب ، ولما كان بين النوعين أعظم التضاد قال رسول الله - ﷺ - : (من أتى كاهناً ، فصدَّقه بما يقول ، فقد كفر بما أُنزل على محمد) .

فإن الناس قسمان : أتباع الكهنة ، وأتباع الرسل ، فلا يجتمع في العبد أن يكون من هؤلاء وهؤلاء ، بل يبعد عن الرسول - ﷺ - بقدر قربه من الكاهن ، ويكذب الرسول بقدر تصديقه للكاهن .

أقول : ومن يدرس تواريخ الأمم يعلم أن الكهان والسحرة كانوا يقومون مقام الرسل ، ولكنهم رسل الشيطان . فالسحرة والكهنة كانت لهم الكلمة المسموعة في أقوامهم ، يحلون ويحرمون . ويأخذون المال ، ويأمرون بأنواع من العبادة والطقوس ترضي الشياطين . ويأمرون بقطيعة الأرحام ، وانتهاك الأعراض ، وقد بين شيئاً من ذلك العقاد في كتابة (إبليس) .

واجب الأمة نحو هؤلاء :

ما يدعيه المنجمون ، والعرافون ، والسحرة . ضلال كبير ومنكر لا يستهان به ، وعلى الذين أعطاهم الله دينه ، وعلمهم كتابه وسنة نبيه أن ينكروا هذا الضلال بالقول ، ويوضحوا هذا الباطل بالحجة والبرهان ، وعلى الذين

في يدهم السلطة أن يأخذوا على يد هؤلاء الذين يدَّعون الغيب من العرافين والكهنة وضاربي الرمل والحصى ، والناظرين في اليد (والفنجان) ، وعليهم أن يمنعوا نشر خز عبلاتهم في الصحف والمجلات ، ويعاقبوا من يتظاهر ببضاعته وضلالاته في الطرقات ، وقد ذم الله بني اسرائيل لتركهم التناهي عن المنكر : (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون) .

وفي السنن عن النبي ـ ﷺ ـ برواية الصديق ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : (إن النَّاس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه) .

الجنّ والأطباق الطّائرة

كثر الحديث في هذه الأيام عن الأطباق الطائرة ، فلا يكاد يمرُّ أسبوع إلا ونسمع أن شخصاً أو عدة أشخاص رأوا طبقاً طائراً ، رأوه في الجوّ محلقاً ، أو على الأرض جاثماً ، أو رأوا مخلوقات مخالفة لشكل الإنسان تخرج منه ، ووصل الأمر إلى الادعاء بأن بعض هذه المخلوقات طلبت إلى بعض الناس مصاحبتها إلى الطبق وأجرت فحوصاً عليه .

ولا يدعي هذه الدعوى أناس مغمورون فحسب بل يزعم ذلك رجال بارزون أمثال رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، فإنه يعتقد أنه لمح شيئاً طائراً لم يتعرف على ماهيته في سماء ولاية جورجيا عام ١٩٧٣ .

وهو يبدي اهتماماً خاصاً بالمخلوقات الأخرى التي بدأت تغزو الأرض فقد أمضى الرئيس الأمريكي (كما نشرت الصحف) أمسية يناقش أحد العلماء المقتنعين بأن الإنسان ليس المخلوق الوحيد في الكون ، وكان يرافق الرئيس كارتر (فرانك برس) مستشاره للشئون العلمية وبعد ذلك شاهد كارتر داخل المرصد القومي أفلاماً توجز آخر ما توصلت إليه الأبحاث حول المخلوقات التي تعيش خارج نطاق الأرض ، وقام بعرض هذه الأفلام

(كارل ساجان) مدير معمل الدراسات الكونية بجامعة (كورنل) الذي ترجع إليه دائماً وكالة الفضاء الأمريكية في الأمور المتعلقة بالمخلوقات التي تعيش خارج نطاق كوكب الأرض . (راجع جريدة السياسة الكويتية العدد (٣٣٩٩) ٧٧/١٢/٥) .

وينسب ملحق الهدف الكويتية الصادر بتاريخ ٧٨/٣/٢٣ إلى الرئيس الصيني الأسبق (ماوتسي تنغ) أنه كان يؤمن بوجود مخلوقات غيرنا في الكواكب الأخرى .

ويذكر كاتب المقال أن حوالي ٦١ ٪ من الشعب الأمريكي مقتنعون بذلك وتزعم الصحف الأمريكية أن قرابة نصف مليون أمريكي شاهدوا هذه الأطباق ، وبعض هؤلاء استطاع أن يتصل بهم اتصالاً مباشراً .

وقد قام المخرج السينمائي الأمريكي (ستيفن سبيلبرغ) (فيلماً) سينمائياً بعنوان (مواجهة من النوع الثالث) بلغت تكاليفه اثنان وعشرون مليوناً من الدولارات الأمريكية .

وقد وضع الفيلم بعد تجميع المعلومات من الذين شاهدوا الأطباق الطائرة أو اتصلوا بها .

وقد عرض الفيلم لأول مرة في البيت الأبيض وكان الرئيس الامريكي أول مشاهديه .

وبعد خروج هذا الفيلم اقتنعت وكالة الفضاء الأمريكية بضرورة البحث في هذا المجال وخصصت مليون دولار لابحاث عام ١٩٧٩ ، وقد أطلقت على المشروع السري اسم (سيتي) ويتلخص في اطلاق أجهزة خاصة للفضاء الخارجي للبحث عن رسائل لاسلكية قادمة من كواكب أخرى .

ويمكننا بعد هذا العرض أن نقرر ما يأتي :

١ ـ لا مجال للتكذيب بوجود مخلوقات غريبة غير الإنسان ، إذ تواترت

الرؤية من عشرات الألوف بل مئات الألوف ، وقد تابعت ما قيل في هذا الموضوع فترة طويلة ، فكنت أجد مقالاً كل أسبوع تقريباً أو أكثر أو أقل حول رؤية جماعة أو شخص لشيء من هذا [1] .

٢ ـ أن الناس احتاروا في تفسير حقيقة هذه الأطباق ، وحقيقة المخلوقات التي تستخدمها ، خاصة وأن سرعة هذه الأطباق خيالية تفوق سرعة أي مركبة اخترعها الإنسان .

٣ ـ أنا أجزم بأن هذه المخلوقات هي من عالم الجن الذي يسكن أرضنا هذه ، والذي تحدثنا عنه فيما سبق ، وبينا ما لديه من قدرات وامكانات تفوق قدرة البشر ، ولقد أعطي سرعة تفوق سرعة الصوت والضوء ، كما أعطى القدرة على التشكل ، وهو يستطيع أن يتراءى للإنسان في صور وأشكال مختلفة .

وبذلك يتبين لنا فضل الله علينا إذ عرفنا بهذه الحقائق ، خاصة ونحن نشعر بالحيرة والقلق لدى الذين لا يعلمون ما علمناه ، وبذلك نوفر طاقاتنا العقلية وقدراتنا العلمية وأموالنا ؛ كي نوجهها وجهة نافعة .

وقد يتساءل بعضنا عن السرّ في ظهور هذه الأطباق في أيامنا هذه وعدم ظهورها في العصور الخالية ، فالجواب أن الجنَّ يلبسون لكل عصر لبوسه ، وهذا العصر عصر التقدم العلمي ، ولذلك فإنَّهم يضللون البشر بالطريقة التي تثير انتباههم ، وتشدُّ نفوسهم ، والناس اليوم يتطلعون إلى معرفة شيء عن الفضاء الواسع وعن امكانية وجود مخلوقات فيه غيرهم .

---

(١) وآخر ذلك ما حدث في الكويت فقد قرر أكثر من شخص أنه رأى طبقاً طائراً ، وقد نشرت الصحف الكويتية النبأ في حينه .

الفصل الخامس

أسلحة المؤمن في حربه مع الشيطان

أسلحة المؤمن في حربه مع الشيطان

أولاً ـ الحذر والحيطة :

هذا العدو الخبيث الماكر حريص على ضلال بني آدم وقد علمنا أهدافه ووسائله في الاضلال ، فبمقدار علمك بهذا العدو : أهدافه ووسائله ، والسبل التي يضلنا بها تكون نجاتنا منه ، أما إذا كان الإنسان غافلاً عن هذه الأمور فإن عدوه يأسره ويوجهه الوجهة التي يريد . وقد صور ابن الجوزي هذا الصراع بين الإنسان والشيطان تصويراً بديعاً حيث يقول : « واعلم أن القلب كالحصن ، وعلى ذلك الحصن سور ، وللسور أبواب وفيه ثلم (الثلمة في السور الموضوع المتهدم منه) وساكنه العقل ، والملائكة تتردد على ذلك الحصن ، وإلى جانبه ربض « الربض المكان الذي يُؤْوي إليه » فيه الهوى، والشياطين تختلف إلى ذلك الربض من غير مانع ، والحرب قائم بين أهل الحصن وأهل الربض ، والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس والعبور من بعض الثلم ، فينبغي للحارس أن يعرف جميع أبواب الحصن الذي قد وكل بحفظه وجميع الثلم ، ألا يفتر عن الحراسة لحظة ، فإن العدو لا يفتر . قال رجل للحسن البصري : أينام إبليس ؟ قال : لو نام لوجدنا راحة .

وهذا الحصن مستنير بالذكر مشرق بالإيمان وفيه مرآة صقيلة يتراءى فيها صور كل ما يمرُّ به ، فأول ما يفعل الشيطان في الربضين إكثار الدخان فتسودّ حيطان الحصن ، وتصدأ المرآة ، وكمال الفكر برد الدخان ، وصقل الذكر يجلو المرآة ، وللعدو حملات فتارة يحمل فيدخل الحصن ، فيكر عليه الحارس فيخرج ، وربما دخل فعاث وربما أقام لغفلة الحراس ، وربما

ركدت الريح الطاردة للدخان فتسود حيطان الحصن وتصدأ المرآة فيمر الشيطان ولا يدرى به ، وربما جرح الحارس لغفلته وأسر واستخدم وأقيم يستنبط الحيل في موافقة الهوى ومساعدته ، وربما صار كالفقيه في الشر ، (تلبيس إبليس /٤٩) .

ثانياً ـ الالتزام بالكتاب والسنَّة :

أعظم سبيل للحماية من الشيطان هو الالتزام بالكتاب والسنة علماً وعملاً ، فالكتاب والسنة جاءا بالصراط المستقيم ، والشيطان يجاهد كي يخرجنا عن هذا الصراط قال تعالى : (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) (سورة الأنعام / ١٥٣) وقد شرح الرسول ـ ﷺ ـ هذه الآية وبينها فقد « خط ـ ﷺ ـ خطاً بيده ، ثم قال : « هذا سبيل الله مستقيماً » وخط عن يمينه وشماله ثم قال : « هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه » ثم قرأ (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) (رواه الإمام أحمد والحاكم وصححه والنسائي) .

فاتباع ما جاءنا من عند الله من عقائد وأعمال وأقوال وعبادات وتشريعات وترك كل ما نهى عنه يجعل العبد في حرز من الشيطان ، ولذلك قال سبحانه وتعالى : (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) (سورة البقرة / ٢٠٨) والسلم هو الإسلام وقيل طاعة الله وفسره مقاتل بأنه العمل بجميع الأعمال ووجوه البر ، وعلى ذلك فقد أمرهم بالعمل بجميع شعب الإيمان وشرائع الإسلام ما استطاعوا ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان ، فالذي يدخل في الإسلام مبتعد عن الشيطان وخطواته ، والذي يترك شيئاً من الإسلام فقد اتبع بعض خطوات الشيطان ، ولذلك كان تحليل ما حرّم الله ، وتحريم ما أحل الله ، أو الأكل من المحرمات والخبائث

كل ذلك من اتباع خطوات الشيطان التي نهينا عنها (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) ، (سورة البقرة /١٦٨) .

إن الالتزام بالكتاب والسنة قولاً وعملاً يطرد الشيطان ويغيظه أعظم اغاظة ، روى مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده وابن ماجة في سننه عن أبي هريرة أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « إذا قرأ ابنُ آدم السجدة فسجد ، اعتزل الشيطان يبكي ، يقول : يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنّة ، وأُمرت بالسجود فعصيت فلي النار » .

ثالثاً ـ الالتجاء إلى الله والاحتماء به :

خير سبيل للاحتماء من الشيطان وجنده هو الالتجاء إلى الله والاحتماء بجنابه والاستعاذة به من الشيطان ، فإنه عليه قادر ، فإذا أجار عبده فأنى يخلص الشيطان إليه ، قال تعالى : (خذ العَفو وأمر بالعُرف وأعرض عن الجاهلين، وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم) (سورة الأعراف / ١٩٩ ـ ٢٠٠).

وقد أمر الله رسوله ـ ﷺ ـ بالاستعاذة بالله من همزات الشياطين وحضورهم (وقل ربِّ أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك ربِّ أن يحضرون) (سورة المؤمنون / ٩٧ ، ٩٨) . وهمزات الشياطين : نزغاتهم ووساوسهم فالله يأمرنا بالاستعاذة به من العدو الشيطاني لا محالة إذ لا يقبل مصانعة ولا احساناً ولا يبتغي غير هلاك ابن آدم لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم .

يقول ابن كثير في تفسيره (١/٢٨): « والاستعاذة هي الالتجاء إلى الله تعالى والالتصاق بجنابه من شرّ كل ذي شرّ ... ، ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أي أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم ، لا يضرني في ديني ودنياي

أو يصدني عن فعل ما أمرت به ، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله ، ولهذا أمر تعالى بمصانعة شيطان الإنس ومداراته بإسداء الجميل إليه ليرده طبعه عما هو فيه من الأذى ، وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن لأنه لا يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جميل لأنه شرير بالطبع ولا يكفه عنك إلا الذي خلقه » .

وقد كان ـ ﷺ ـ يكثر من الاستعاذة بربه من الشيطان بصيغ مختلفة فكان يقول بعد دعاء الاستفتاح في الصلاة : « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه » روى ذلك أصحاب السنن الأربعة ، وقد فسر همز الشيطان بالموتة وهي الخنق ، والنفخ بالكبر ، والنفث بالشعر .

الاستعاذة عند دخول الخلاء :

وكان إذا دخل الخلاء يستعيذ من الشياطين ذكورهم وإناثهم كما في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان النبي ـ ﷺ ـ إذا دخل الخلاء قال : « اللهمَّ إني أعوذ بك من الخبث والخبائث » .

وفي مسند أحمد وسنن أبي داود بإسناد صحيح عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ « إن هذه الحشوش محتضرة ، فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل : أعوذ بالله من الخبث والخبائث » .

الاستعاذة عند الغضب :

واستب رجلان عند النبي ـ ﷺ ـ فغضب أحدهما غضباً شديداً حتى يخيل إلى (إلى رواي الحديث) أن أحدهما يتمزع أنفه من شدة غضبه ، فقال النبي ـ ﷺ ـ : « إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد من الغضب » فقالوا : ما هي يا رسول الله ؟ قال : يقول : « اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم » رواه البخاري ومسلم وأبو داود وأحمد وهذا لفظ أحمد .

وقد علم الرسول ـ ﷺ ـ أحد أصحابه أن يقول : « اللهمَّ فاطر السموات

والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، لا إله إلا أنت ، ربَّ كل شيء ومليكه ، أعوذ بك من شرِّ نفسي ، ومن شرِّ الشيطان وشركه ، وأن اقترف على نفسي سوءاً ، أو أجره إلى مسلم » رواه الترمذي بإسناد صحيح (صحيح الجامع ٥٦/٦) .

الاستعاذة عند الجماع :

وحثنا على الاستعاذة حين يأتي الرجل أهله بأن يقول : « بسم الله اللهم جنبنا الشيطان ، وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فإنه لو قضى بينهما ولد من ذلك لم يضره الشيطان أبداً » متفق عليه . وإذا نزل المرء واديا أو منزلاً فعليه أن يستعيذ بالله لا كما كان يفعل أهل الجاهلية يستعيذون بالجن والشياطين ، فيقول قائلهم : أعوذ بزعيم هذا الوادي من سفهاء قومه ، فكانت العاقبة أن استكبرت الجن وآذتهم كما حكى الله عنهم ذلك في سورة الجن (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً) (سورة الجن /٦) أي الجن زادت الإنس رهقاً ، أما المسلم فانظر إلام أرشده الرسول - ﷺ - حيث يقول : « لو أن أحدكم إذا نزل منزلاً قال : أعوذ بكلمات الله التامة من شرِّ ما خلق ، لم يضره في ذلك المنزل شيء ، حتى يرتحل منه » . رواه ابن ماجه باسناد صحيح .

التعوذ بالله من الشيطان عند سماع نهيق الحمار :

يقول الرسول - ﷺ - : « إذا نهق الحمار فتعوَّذوا بالله من الشيطان الرجيم » رواه الطبراني في معجمه الكبير باسناد صحيح (راجع صحيح الجامع ٢٨٦/١) وقد سبق أن الحمار إذا نهق بالليل فيكون قد رأى شيطاناً .

التعوذ حين قراءة القرآن :

قال تعالى : (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، إنّه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) (سورة النحل ٩٨-٩٩)

وقد بين ابن القيم الحكمة في الاستعاذة بالله من الشيطان حين قراءة القرآن ، (اغاثة اللهفان ١٠٩/١) فقال :

« ١ ـ إن القرآن شفاء لما في الصدور يذهب لما يلقيه الشيطان فيها من الوساوس والشهوات والإرادات الفاسدة ، فهو دواء لما أمره الشيطان فيها ، فأمر أن يطرد مادة الداء ويخلي منه القلب ليصادف الداء محلاً خالياً ، فيتمكن منه ، ويؤثر فيه ، كما قيل :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

فيجيء هذا الدواء الشافي إلى القلب قد خلا من مزاحم ومضاد له فينجح فيه .

٢ ـ ومنها أن القرآن مادة الهدى والعلم والخير في القلب ، كما أنَّ الماء مادة النبات ، والشيطان نار يحرق النبات أولاً فأولاً ، فكلما أحسَّ بنبات الخير من القلب سعى في افساده واحراقه ، فأمر أن يستعيذ بالله ـ عز وجل ـ منه لئلا يفسد عليه ما يحصل له بالقرآن . والفرق بين هذا الوجه والوجه الذي قبله أن الاستعاذة في الوجه الأول لأجل حصول فائدة القرآن ، وفي الوجه الثاني لأجل بقائها وحفظها .

٣ ـ ومنها أن الملائكة تدنو من قارىء القرآن وتستمع لقراءته ، كما في حديث أسيد بن حضير لما كان يقرأ ورأى مثل الظلة فيها المصابيح ، فقال عليه الصلاة والسلام : تلك الملائكة والشيطان ضد الملك وعدوه . فأمر القارىء أن يطلب من الله تعالى مباعدة عدوه عنه حتى يحضره خاص ملائكته ، فهذه منزلة لا يجتمع فيها الملائكة والشياطين .

٤ ـ ومنها أن الشيطان يجلب على القارىء بخيله ورجِله ، حتى يشغله عن المقصود بالقرآن ، وهو تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد به المتكلِّم به سبحانه ، فيحرص بجهده على أن يحول بين قلبه وبين مقصود القرآن ، فلا يكمل

انتفاع القارىء به ، فأمر عند الشروع أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم

٥ ـ ومنها أن القارىء يناجي الله تعالى بكلامه ، والله أشدُّ أذناً للقارىء الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته ، والشيطان إنَّما قراءته الشعر والغناء ، فأمر القارىء أن يطرده بالاستعاذة عند مناجاة الله تعالى واستماع الرب قراءته .

٦ ـ ومنها : أن الله سبحانه أخبر أنّه ما أرسل من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ، والسلف كلهم على أن المعنى : إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته ... فإذا كان هذا فعله مع الرسل عليهم الصلاة والسلام فكيف بغيرهم . ولهذا يغلِّط القارىء تارة ، ويخلط عليه القراءة ، ويشوشها عليه ، فيخبط عليه لسانه ، أو يشوش عليه ذهنه وقلبه ، فإذا حضر عند القراءة لم يعدم منه القارىء هذا أو هذا ، وربَّما جمعها له .

٧ ـ ومنها أن الشيطان أحرص ما يكون على الإنسان عندما يهم بالخير أو يدخل فيه ، فهو يشتدُّ عليه حينئذ ليقطعه عنه » .

تعويذ الأبناء والأهل :

وقد كان الرسول ـ ﷺ ـ يعوذ الحسن والحسين فيقول : « اعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كلِّ عين لامة ، ثم يقول : هكذا كان أبي إبراهيم ـ ﷺ ـ يعوذ إسماعيل واسحق » (أخرجاه في الصحيحين) . قال أبو بكر بن الأنباري : « الهامة واحد الهوام ، ويقال هي كل نسمة تهم بسوء ، واللامة الملمة وإنما قال لامة ليوافق لفظ هامة فيكون أخف على اللسان » (تلبيس إبليس ٤٧) .

خير ما يتعوذ به المتعوذون :

وخير ما يتعوذ به المتعوذون سورتا الفلق والناس ، فعن عقبة بن عامر أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « إن الناس لم يتعوذوا بمثل هذين : (قل أعوذ

بربِ الفلق) و (قل أعوذ برب الناس) » رواه النسائي .

فقه عظيم :

حكي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه : « ما تصنع بالشيطان إذا سوّل لك الخطايا ؟ قال : أجاهده . قال : فإن عاد ؟ قال : أجاهده . قال : فإن عاد ؟ قال : أجاهده . قال هذا يطول . أرأيت إن مررت بغنم فنبحك كلبها أو منعك من العبور ما تصنع ، قال : أكابده جهدي وأرده . هذا أمر يطول ولكن استعن بصاحب الغنم يكفّه عنك » (تلبيس إبليس/ ٤٨) وهذا فقه عظيم من هذا العالم الجليل فإن الاحتماء بالله والالتجاء إليه هو السبيل القوي الذي يطرد الشيطان ويبعده ، وهذا ما فعلت أم مريم إذ قالت:(وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) (سورة آل عمران / ٣٦) .

شبهة :

يقول بعض الناس إننا نستعيذ بالله ومع ذلك فإننا نحس بالشيطان يوسوس لنا ويحرضنا على الشر ويشغلنا في صلاتنا .

والجواب أن الاستعاذة كالسيف في يد المقاتل ، فإن كانت يده قوية أصاب من عدوه مقتلاً ، وإلا فانه قد لا يؤثر فيه ، ولو كان السيف صقيلاً حديداً .

وكذلك الاستعاذة إذا كانت من تقي ورع كانت ناراً تحرق الشيطان وإذا كانت من مخلط ضعيف الإيمان فلا تؤثر في العدو تأثيراً قوياً . قال أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله : (واعلم أن مثل إبليس مع المتقي والمخلط كرجل جالس بين يديه طعام ولحم فرَّ به كلب ، فقال له اخسأ ، فذهب . فرَّ بآخر بين يديه طعام ولحم فكلّما أخسأه (طرده) لم يبرح . فالأول مثل المتقي يمرُّ به الشيطان فيكفيه في طرده الذكر . والثاني مثل المخلط لا يفارقه الشيطان لمكان تخليطه نعوذ بالله من الشيطان) . (تلبيس إبليس / ٤٨) .

فعلى المسلم الذي يريد النجاة من الشيطان وأحابيله أن يشتغل بتقوية إيمانه

والاحتماء بالله ربه والالتجاء إليه ولا حول ولا قوة إلا بالله .

رابعاً ـ الاشتغال بذكر الله :

ذكر الله من أعظم ما ينجي العبد من الشيطان وسيأتي ذكر الحديث الذي يأمر فيه نبي الله يحيى بني اسرائيل بخمس خصال ، ومن هذه « وآمركم أن تذكروا الله تعالى ، فإن مثل ذلك مثل رجل خرج العدوّ في أثَره سراعاً ، حتى إذا أتى إلى حصن حصين ، فاحرز نفسه منهم ، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله » يقول ابن القيم في (الوابل الصيب ص ٦٠) : فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقاً بالعبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى ، وأن لا يزال لهجاً بذكره ، فإنَّه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر ، ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة ، فهو يرصده ، فإذا غفل وثب عليه وافترسه ، وإذا ذكر الله تعالى انخنس عدو الله وتصاغر ، وانقمع ، حتى يكون كالوصع (طائر أصغر من العصفور) وكالذباب ، ولهذا سمي (الوسواس الخناس) ، أي : يوسوس في الصدور ، فإذا ذكر الله خنس ، أي كف وانقبض . وقال ابن عباس : الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا سها وغفل وسوس فإذا ذكر الله تعالى خنس .

ويقول ابن القيم (ص ١٤٤) : « الشياطين قد احتوشت العبد وهم أعداؤه ، فما ظنك برجل قد احتوشه أعداؤه المحنقون عليه غيظاً ، وأحاطوا به ، وكل منهم يناله بما يقدر عليه من الشرّ والأذى ، ولا سبيل إلى تفريق جمعهم عنه إلا بذكر الله عز وجل » .

ثم ساق رحمه الله حديث عبد الرحمن بن سمرة ، قال : خرج علينا رسولُ الله ﷺ يوماً ، وكنَّا في صُفَّةٍ بالمدينة ، فقام علينا وقال : « إنِّي رأيْتُ البارحَةَ عَجَباً : رأيتُ رجلاً من أُمَّتي أتاه مَلَك الموت ليَقْبِضَ رُوحَهُ ، فجاءه بِرُّه بوالِدَيْه ، فردَّ مَلَك الموت عنه ، ورأيت رجلاً قد بُسط عليه عذاب

القبر ، فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك ، ورأيتُ رجُلاً من أُمَّتي قد احْتَوَشَتْه الشَّياطين ، فجاءه ذِكْر الله عز وجل ، فطرد الشيطان عنه ، ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب ، فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ، ورأيتُ رجلاً من أُمَّتي يلتهب ـ وفي رواية : يلهث ـ عَطَشاً ، كلَّما دنا من حوضٍ مُنِعَ وطُرِدَ ، فجاءه صيام شهرِ رمضانَ ، فَأَسْقَاهُ وأَرْوَاهُ ، ورأيتُ رجلاً من أُمَّتي ، ورأيت النَّبيين جُلوساً حِلَقاً حِلَقاً ، كلما دنا إلى حَلْقَةٍ طُـرِدَ ، فجاءه غُسْلُهُ من الجنابة ، فأخذ بيده ، فأقعده إلى جنبي ، ورأيتُ رجلاً من أمتي بين يديه ظلمة ، ومن خلفه ظلمة ، وعن يمينه ظلمة ، وعن يساره ظلمة ، ومن فوقه ظلمة ، ومن تحته ظلمة ، وهو متحيِّر فيها ، فجاءه حجُّه وعُمرتُه ، فاستخرجاه من الظلمة ، وأدخلاه في النور ، ورأيت رجلاً من أُمَّتي يتَّقي بيده وهَجَ النار وشرره ، فجاءته صدقته ، فصارت سُتْرَةً بينه وبين النار ، وظلَّلَتْ على رأسه ، ورأيتُ رجلاً من أمتي يكلِّم المؤمنين ولا يكلِّمونه ، فجاءته صِلَتُهُ لِرَحِمِهِ فقالت : يا معشر المسلمين ، إنه كان وَصُولاً لرَحِمِهِ فكلِّمُوه ، فكلمه المؤمنون وصافحوه وصافَحَهُم ، ورأيتُ رجلاً من أمَّتي قد احْتَوَشَتْه الزَّبانِيَةُ ، فجاءه أمره بالمعروف ونَهْيُه عن المنكر ، فاسْتَنقَذَه من أيديهم ، وأدخله في ملائكة الرحمة ، ورأيتُ رجلاً من أمتي جاثِياً على رُكْبَتَيْه ، وبينه وبين الله عز وجل حجاب ، فجاءه حُسْنُ خُلُقِهِ ، فأخذ بيده ، فأدخله على الله عز وجل ، ورأيت رجلاً من أمتي قد ذهبت صحيفته من قبل شماله ، فجاءه خوفه من الله عز وجل ، فأخذ صحيفته فوضعها في يمينه ، ورأيت رجلاً من أمتي خَفَّ ميزانه ، فجاءه أفراطه[1] فَثَقَّلُوا ميزانه ، ورأيتُ رجلاً من أمتي قائماً على شفير جهنم ، فجاءه رجاؤه في الله عز وجل ، فاستنقذه من ذلك ومضى ، ورأيت رجلاً من أمتي قد أهوى في النار ، فجاءته دمعتُه التي بكى من خشية الله عز وجل ، فاستنقذته من ذلك ، ورأيت رجلاً من

(١) جمع فرط ، والمراد به : من مات له من الأطفال .

أمتي قائماً على الصراط يُرعد كما ترعد السَّعَفَة في ريح عاصف ، فجاءه حُسْنُ ظَنِّهِ بالله عز وجل ، فسَكَّن رِعْدَتَهُ ومضى ، ورأيت رجلاً من أمتي يَزْحَفُ على الصراط ، ويحبو أحياناً ، ويتعلق أحياناً ، فجاءته صلاته عليَّ فأقامته على قدميه ، وأنقذته ، ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلِّقت الأبواب دونه ، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ، ففتحت له الأبواب ، وأدخلته الجنة » . رواه الحافظ أبو موسى المديني في كتاب « الترغيب في الخصال المنجية ، والترهيب من الخلال المردية » وبنى كتابه عليه وجعله شرحاً له ، وقال : هذا حديث حسن جداً ، رواه عن سعيد بن المسيب : عمرو بن آزر ، وعلي بن زيد بن جدعان ، وهلال أبو جبلة . وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يعظِّم شأن هذا الحديث ، وبلغني عنه أنه كان يقول : شواهد الصحة عليه . والمقصود منه قوله ﷺ : « ورأيت رجلاً من امتي قد احتوشته الشياطين ، فجاءه ذكر الله عز وجل ، فطرد الشيطان عنه » فهذا مطابق لحديث الحارث الأشعري .

وقوله فيه : « وآمَرَكُم بذكر الله عز وجل ، وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو ، فانطلقوا في طلبه سِراعاً ، وانطلق حتى أتى حصناً حَصِيناً ، فأحرز نفسه فيه » .

فكذلك الشيطان لا يحرز العباد أنفسهم منه إلا بذكر الله عز وجل ، وفي الترمذي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال ـ يعني إذا خرج من بيته ـ بسْمِ اللهِ ، توكَّلْتُ على الله ، لا حَوْلَ ولا قُوَّة إلا بالله ، يقال له : كُفِيتَ وهُدِيتَ وَوُقِيتَ ، وتَنَحَّى عنه الشيطان ، فيقول لشيطان آخر : كيف لك برجل قد هُدِي وكُفِي ووُقِي » ؟ رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال : حديث حسن .

وصح عنه ﷺ أنه قال : « مَنْ قال في يوم مائة مرة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، كانت

له حِرْزاً من الشيطان حتى يمسي » . وذكر سفيان عن أبي الزبير ، عن عبد الله ابن ضمرة ، عن كعب قال : إذا خرج الرجل من بيته فقال : بِسْمِ اللهِ ، قال المَلَكُ : هُديتَ ، وإذا قال : توكَّلْتُ على الله ، قال المَلَكُ : كُفيت ، وإذا قال : لاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ قال المَلَكُ : حُفِظْتَ . فيقول الشياطين بعضهم لبعض : ارجعوا ، ليس لكم عليه سَبيل ، كيف لكم بمن كُفي وهُدي وحفظ ؟ .

وقال أبو خلاد المصري : من دخل في الإسلام ، دخل في حصن ، ومن دخل المسجد ، فقد دخل في حصنين ، ومن جلس في حلقة يذكر الله عز وجل فيها ، فقد دخل في ثلاثة حصون .

وقد روى الحافظ أبو موسى في كتابه من حديث أبي عمران الجوني ، عن أنس ، عن النبي ﷺ قال : إذا وضع العبد جَنْبَه على فراشه ، فقال : بسم الله ، وقرأ فاتحة الكتاب ، أَمِنَ من شرِّ الجنِّ والإنسِ ومن كل شيء » ذكره السيوطي في « الجامع الكبير » ونسبه للبزار والديلمي . قال الهيثمي في « المجمع » : وفيه غسان بن عبيد ، وهو ضعيف ، ووثقه ابن حبان ، وبقية رجاله رجال الصحيح (محقق الوابل الصيب) .

وفي « صحيح البخاري » ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة قال : ولأني رسول الله ﷺ زكاةَ رمضانَ أن احتفظ بها ، فأتاني آتٍ ، فجعل يَحْثُو الطَّعام ، فأخذته ، فقال : دعني فإني لا أعود ... فذكر الحديث ، وقال : فقال في الثالثة : أعلِّمك كلمات ينفعك الله بهن ، إذا أوَيْتَ إلى فراشك ، فاقرأ آية الكرسي من أولها إلى آخرها ، فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فخلى سبيله ، فأصبح ، فأخبر النبي ﷺ بقوله ، فقال : « صَدَقَكَ ، وهو كذوب » .

وذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « إذَا أوى الإنْسانُ إلىٰ فِرَاشِه ، ابْتَدَرَهُ مَلَكٌ وشَيْطَانٌ ،

فيقول المَلَكُ : اختم بخير ، ويقول الشيطان : اختم بشر . فإذا ذكر الله تعالى حتى يغلبه ـ يعني النوم ـ طرد المَلَكُ الشيطان وبات يكلؤه ، فإذا استيقظ ، ابتدره ملك وشيطان ، فيقول الملك : افتح بخير ، ويقول الشيطان : افتح بشر ، فإن قال : الحمد لله الذي أحيا نفسي بعد موتها ولم يمتها في منامها ، الحمد لله الذي يمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ، الحمد لله الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا ، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده ، الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه[1] ، طرد الملك الشيطان وظل يكلؤه »[2] .

وفي « الصحيحين » : من حديث سالم بن أبي الجعد ، عن كريب ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « أَمَا إنَّ أَحَدَكُم إذَا أتى أَهْلَهُ قالَ : بِسْمِ اللهِ ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ ، وجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا فيولد بينهما ولد [3] لاَ يَضُرُّهُ شَيْطَانٌ أَبَدَاً »[4] .

وذكر الحافظ أبو موسى ، عن الحسن بن علي قال : أنا ضامنٌ لمن قرأ هذه العشرين الآية أن يَعْصِمَهُ اللهُ تعالى مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ ظَالِم ، ومن كُلِّ

---

(١) الذي في « موارد الظمآن » و « مجمع الزوائد » بدل هذه الجملة الأخيرة من الحديث : طرد الملك ... الخ : « فإن وقع عن سريره دخل الجنة . والذي في « مستدرك الحاكم » : « فإن خرق دابة مات شهيداً ، وإن قام فصلى صلى في الفضائل » . محقق الوابل الصيب .

(٢) ورواه بمعناه ابن حبان رقم ٢٣٦٢ « موارد » ، والحاكم ٥٤٨/١ وصححه ووافقه الذهبي ورجاله ثقات ، وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٢٠/١٠ وقال : رواه أبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح ، غير إبراهيم بن الحجاج الشامي ، وهو ثقة . نقول : وصوابه : إبراهيم بن الحجاج السامي ، بالسين المهملة . (محقق الوابل الصيب) .

(٣) كذا في النسخ المطبوعة : فيولد بينهما ولد . وليس في « الصحيحين » بهذا اللفظ ، وقد رواه المصنف بالمعنى . وفي بعض روايات البخاري : فإن كان بينهما ولد . وفي « الصحيحين » : « فإنه إن يقدر بينهما ولد ، لم يضره الشيطان أبداً » . (محقق الوابل الصيب) .

(٤) رواه البخاري ٣٢١/١٣ في التوحيد ، باب السؤال بأسماء الله تعالى ، وفي بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده ، وفي الدعوات ، باب الدعاء للمتزوج ، ومسلم رقم ١٤٣٤ في النكاح ، باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع . (محقق الوابل الصيب) .

شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ، ومِنْ كلِّ سَبُعٍ ضَارٍ ، ومن كلِّ لِصٍّ عادٍ : آيةَ الكرسي ، وثلاثَ آيات من الأعراف (إِنَّ رَبَّكُم اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰواتِ والأَرْضَ ...) [الأعراف : ٥٤ ـ ٥٧] ، وعشراً من الصَّافَّاتِ [١ ـ ١٠] ، وثلاثَ آياتٍ من الرَّحْمٰن (يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ ...) [الرحمن : ٣٣ ـ ٣٤] ، وخاتمة سُورَةِ الحَشْرِ : (لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا [القرآن]) [الحشر : ٢١ ـ ٢٤] .

وقال محمد بن أبان : بينما رجل يصلي في المسجد ، إذا هو بشيء إلى جنبه ، فجفل منه ، فقال : ليس عليك مني بأس ، إنما جئتك في الله تعالى ، اثت عروة فسله : ما الذي يتعوذه ؟ ـ يعني من إبليس الأباليس ـ . قال : قُلْ آمنتُ باللهِ العظيم وحدَه ، وكفرتُ بالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ، واعْتَصَمْتُ بالعُرْوَةِ الوُثْقى لا انْفِصَام لها ، والله سميع عليم ، حسبيَ الله وكفى ، سمع الله لمن دَعا ، ليس وراءَ اللهِ منتهى .

وقال بشر بن منصور : عن وهيب بن الورد قال : خرج رجلٌ إلى الجبّانَةِ بعد ساعة من الليل ، قال : فَسَمِعْتُ حِسًّا ـ أو صوتاً ـ شديداً ، وجِيءَ بسريرٍ حتى وضع ، وجاء شيء حتى جلس عليه ، قال : واجتمعت إليه جنوده ، ثم صرخ فقال : من لي بعروة بن الزبير ؟ فلم يجبه أحد حتى تتابع ما شاء الله عز وجل من الأصوات ، فقال واحد : أنا أكفيكه . قال : فتوجه نحو المدينة وأنا ناظرٌ ، ثم أوشك الرجعة ، فقال : لا سبيل إلى عُرْوَةَ ، وقال : ويلكم وجدته يقول كلمات إذا أصبح وإذا أمسى ، فلا نخلص اليه معهن ، قال الرجل : فلما أصبحتُ ، قلت لأهلي : جَهِّزُوني ، فأتيتُ المدينة ، فسألت عنه حتى دُلِلْتُ عليه ، فإذا شيخ كبير ، فقلت : أشيئاً تقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت ؟ فأبي أن يخبرني ، فأخبرته بما رأيت وما سمعت ، فقال : ما أدري ، غير أني أقول إذا أصبحت : آمنت بالله العظيم ، وكفرتُ بالجِبْتِ والطَّاغُوتِ ، واسْتَمْسَكْتُ بالعُرْوَةِ الوُثْقَى الَّتِي لا انْفِصَامَ لها ، والله سَمِيعٌ عليم . إذا أصبحتُ قلت ثلاثَ مرَّات ، وإذا أمسيْتُ قلت ثلاث مرات .

وذكر أبو موسى عن مسلم البطين قال : قال جبريل للنبيِّ ﷺ : إنَّ عِفريتاً من الجن يَكِيدُك ، فإذا أَويْت إلى فِرَاشِكَ فقل : أَعُوذُ بكلماتِ اللهِ التَّامَّات التي لا يُجَاوِزُهُنَّ برٌّ ولا فاجرٌ ، من شَرِّ ما ينزل من السَّماء وما يَعْرُجُ فيها ، ومن شَرِّ ما ذَرأ من الأرْضِ وما يخرجُ منها ، ومن شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ والنَّهار ، ومن شَرِّ طوارقِ الليل والنهار ، إلاّ طارِقاً يطرق بخير يا رحمن[1]

وقد ثبت في « الصحيح » أن الشيطان يهرب من الأذان .

قال سهيل بن أبي صالح : أرسلني أبي إلى بني حارثة ومعي غلام ـ أو صاحب ـ لنا ، فنادى منادٍ من حائط باسمه ، فأشرف الذي معي على الحائط ، فلم ير شيئاً ، فذكرت ذلك لأبي ، فقال : لو شعرت أنك تلقى هذا لم أرسلك ، ولكن إذا سمعت صوتاً فناد بالصلاة ، فإني سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إنَّ الشَّيْطَانَ إذَا نُودِي بالصلاة ، وَلَّى وله حُصَاصٌ » .

وفي رواية : « إذا سمع النِّدَاءَ وَلَّى وله ضُراطٌ ، حتى لا يسمع التَّأْذينَ ... » الحديث [2] .

وذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبي رجاء ، عن أبي بكر الصديق قال : قال رسول الله ﷺ : « اسْتَكْثِروا من لا إِلَهَ إلاَّ اللهُ والاستغفار ،

---

(١) وإسناده منقطع ، ورواه مالك في « الموطأ » ٩٥١/٢ و ٩٥٢ في كتاب الشعر ، باب ما يؤمر به من التعوذ عن يحيى بن سعيد مرسلاً . قال الزرقاني في « شرح الموطأ » : ووصله النسائي من طريق محمد بن جعفر ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، عن ابن عباس السلمي ، عن ابن مسعود . قال الزرقاني : قال حمزة الكناني الحافظ : هذا ليس بمحفوظ ، والصواب مرسل . وقال السيوطي : وأخرجه البيهقي في « الأسماء والصفات » من طريق داود ابن عبد الرحمن العطار ، عن يحيى بن سعيد ، قال : سمعت رجلاً من أهل الشام يحدث عن ابن مسعود قال : لما كان ليلة الجن أقبل عفريت في يده شعلة ... فذكره . انتهى . قال الزرقاني : وفيه نظر ، لأن ليلة الجن هي ليلة استماعهم القرآن ، وهي غير ليلة الاسراء ، فهما حديثان وإن اتحد لفظ الاستعاذة فيهما . (محقق الوابل الصيب) .

(٢) رواه البخاري ٦٩/٢ و ٧٠ في الأذان ، باب فضل التأذين ، ومسلم رقم ٣٨٩ في الصلاة ، باب فضل الآذان وهرب الشيطان عند سماعه . (محقق الوابل الصيب) .

فإنَّ الشَّيطانَ قال : قد أَهْلَكْتُهُم بالذُّنوب ، وأَهْلَكُوني بقول : لا إله إلاَّ الله والاسْتِغفَار ، فلما رأَيتُ ذلك منهم ، أَهْلَكْتُهُم بالأَهْوَاء حتى يَحْسَبُونَ أنهم مُهْتَدُون ، فلا يَسْتَغْفِرُون »[1] .

وذكر أيضاً عن إبراهيم بن الحكم ، عن أبيه ، عن عكرمة قال : بينا رجل مسافر ، إذْ مرَّ برَجُل نائم ، ورأى عنده شيطانين ، فسمع المسافر أحد الشيطانين يقول لصاحبه : اذهب فأفسد على هذا النائم قلبه ، فلما دنا منه رجع إلى صاحبه فقال : لقد نام على آية ما لنا إليه سبيل ، فذهب إلى النائم ، فلما دنا منه رجع قال : صدقت ، فذهب ، ثم إن المسافر أيقظه وأخبره بما رأى من الشيطانين ، فقال : أخبرني على أي آية نمت ؟ قال : على هذه الآية : ﴿ إن ربَّكُم اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰواتِ والأَرْضَ في سِتَّةِ أَيام ثُمَّ اسْتَوى على العَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُه حَثِيثاً والشَّمْسَ والقَمَرَ والنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بأَمْرِهِ ، أَلاَ لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العالمين ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

وقال أبو النضر هاشم بن القاسم : كنت أرى في داري ...[2] فقيل : يا أبا النضر تحوَّل عن جوارنا ، قال : فاشْتَدَّ ذلكَ عليَّ ، فكتبت إلى الكوفة إلى ابن إدريس ، والمحاربي ، وأبي أسامة ، فكتب إليَّ المحاربي : إن بئراً بالمدينة كان يقطع رشاؤها ، فنزل بهم ركب ، فشكَوْا ذلك إليهم ، فدعوا بدَلْوٍ من ماء ، ثم تكلموا بهذا الكلام ، فصبُّوه في البئر ، فخرجت نار من البئر ، فطفئت على رأس البئر ، قال أبو النضر : فأخذت تَوْراً من ماء ، ثم تكلَّمت فيه بهذا الكلام ، ثم تتبَّعت به زوايا الدار ، فرشَشْتُه ، فصاحوا بي : أحْرَقْتَنَا ، نحن نتحول عنك . وهو : بسم الله ، أمسينا بالله الذي ليس منه شيء ممتنع ، وبعِزَّةِ اللهِ التي لا ترام ولا تضام ، وبسلطان الله المنيع نحتجب ،

---

(١) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ونسبه لأبي يعلى . وقال الهيثمي : وفيه عثمان بن مطر ، وهو ضعيف . (محقق الوابل الصيب) .

(٢) سقط شيء من الكلام . والمفهوم بالقرينة أنه كلم من كان يراهم ، فقيل له : يا أبا النضر الخ .

وبأسمائه الحسنى كلّها عائذ من الأبالسة ، ومن شرّ شياطين الإنس والجن ، ومن شر كل معلن أو مسر ، ومن شر ما يخرج بالليل ويكمن بالنهار ، ويكمن بالليل ويخرج بالنهار ، ومن شر ما خلق وذرأ وبرأ ، ومن شرّ إبليس وجنوده ، ومن شر كل دابة أنت آخذٌ بناصيتها إنَّ ربي على صراط مستقيم ، أعوذ بالله : بما استعاذ به موسى ، وعيسى ، وإبراهيم الذي وفى ، من شر ما خلق وذرأ وبرأ ، ومن شر إبليس وجنوده ، ومن شر ما يبغي . أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، (بسم الله الرحمن الرحيم : والصَّافَّاتِ صَفّاً ، فالزَّاجِرَاتِ زَجْراً ، فالتَّالِيَاتِ ذِكْراً ، إنَّ إلهَكُم لواحِدٌ ، رَبُّ السَّمٰواتِ والأَرْضِ ومَا بَيْنَهُما وربُّ المَشَارِقِ ، إنَّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيَا بزينَةٍ الكَوَاكِبِ ، وحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ، لا يَسَّمَّعُونَ إلىٰ المَلإِ الأَعْلىٰ ويُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُوراً ولَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ، إلاَّ مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ فأتْبَعَهُ شهَابٌ ثَاقِبٌ) [الصافات : ١ ـ ١٠] .

فهذا بعض ما يتعلق بقوله ﷺ لذلك العبد : يحرز نفسه من الشيطان بذكر الله تعالى .

وأحب أن أختم هذا الموضوع بحديث لم يذكره ابن القيم ، وهذا الحديث يدل على أن ذكر الله في كلِّ أمر من الأمور يذل الشيطان ويصغر أمره ويرده خائباً خاسئاً ، روى الإمام أحمد أن تميمة سمع أحد الصحابة يحدث أنه كان رديف رسول الله ـ ﷺ ـ قال : عثر بالنبي ـ ﷺ ـ حماره ، فقلت تعس الشيطان ، فقال النبي ـ ﷺ ـ : « لا تقل تعس الشيطان ، فإنك إذا قلت تعس الشيطان تعاظم ، وقال : بقوتي صرعته ، وإذا قلت باسم الله تصاغر حتى يصير مثل الذباب » قال ابن كثير في (البداية ١/٦٥) تفرد به أحمد واسناده جيد .

خامساً ـ لزوم جماعة المسلمين :

ومما يبعد المسلم عن الوقوع في أحابيل الشيطان أن يعيش في ديار الإسلام ،

ويختار لنفسه الفئة الصالحة التي تعينه على الحق وتحضّه عليه ، وتنهاه عن السيئات ، وتذكره بالخيرات ، فإن في الاتحاد والتجمع قوة وأي قوة ، يقول الرسول ـ ﷺ ـ : (من أراد منكم بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح . ورجاله ثقات والحديث صحيح وله طرق ، والجماعة جماعة المسلمين ، وإمام المسلمين ولا قيمة للجماعة في الإسلام ما لم تلتزم بالحق : الكتاب والسنة ، ففي الحديث «ما من ثلاثة في قرية ولا بدو ، لا تقام فيهم الصلاة ، إلا استحوذ عليهم الشيطان ، فعليكم بالجماعة ، فإنما تأكل الذئب من الغنم القاصية» اسناده حسن . رواه أبو داود والنسائي وغيرهما .

وروى أبو داود في سننه من حديث معاوية بن أبي سفيان أنه قام فقال : «ألا أن رسول الله ـ ﷺ ـ قام فينا فقال : (ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة ، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنَّة وهي الجماعة) ، رواه أبو داود باسناد جيد .

سادساً ـ كشف مخططات الشيطان ومصائده[1] :

على المسلم أن يتعرف على سبله ووسائله في الاضلال ويكشف ذلك للناس ، وقد فعل ذلك القرآن ، وقام بهذه المهمة الرسول ـ ﷺ ـ خير قيام ، فالقرآن عرفنا الأسلوب الذي أغوى الشيطان بـه آدم . والرسول ـ ﷺ ـ كان يعرف الصحابة كيف يسترق الشيطان السمع ويلقي بالكلمة التي سمع في أذن الكاهن أو الساحر ومعها مائة كذبة ، يبين ذلك لهم كي لا ينخدعوا بأمثال

(١) إذا رغبت في الوقوف على تفاصيل مخططات الشيطان ومكائده ومصائده ، وكيف ألبس على الناس دينهم في العقائد والعبادات والمعاملات ، وكيف تلاعب باليهود والنصارى والمجوس وعباد الأوثان ـ فلا غنى لك عن قراءة كتابين :
الأول : تلبيس إبليس لابن الجوزي .
والثاني : إغاثة اللهفان لابن القيم .

هؤلاء ، وبين لهم كيف يوسوس لهم ويشغلهم في صلاتهم وعبادتهم ، وكيف يحاول الشيطان أن يوهمهم بأنَّ وضوءهم قد فسد والأمر ليس كذلك ، وكيف نفرق بين المرء وزوجه ، وكيف يوسوس للمرء فيقول له من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك .

سابعاً ـ مخالفة الشيطان :

يأتي الشيطان في صورة ناصح حريص على الإنسان كما سبق ، فعلى المرء أن يخالف ما يأمر به ، ويقول له : لو كنت ناصحاً أحداً لنصحت نفسك ، فقد أوقعت نفسك في النار ، وجلبت لها غضب الجبار ، فكيف ينصح غيره من لا ينصح نفسه ، يقول الحارث بن قيس: (إذا أتاك الشيطان وأنت تصلي فقال إنك ترائي فزدها طولاً) (تلبيس إبليس /٣٨) وهذا فقه منه رحمه الله . وإذا علمنا أن أمرا ما يحبه الشيطان ويتصف به فعلينا أن نخالفه ، فمثلاً الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله ويأخذ بشماله لذا وجبت علينا مخالفته ، يقول الرسول ـ ﷺ ـ : (ليأكل أحدكم بيمينه ، وليشرب بيمينه ، وليأخذ بيمينه ، فإن الشيطان يأكل بشماله ، ويشرب بشماله ، ويعطي بشماله ، ويأخذ بشماله) رواه ابن ماجة باسناد صحيح (صحيح الجامع ٨١/٥) .

والشيطان يشاركنا في الشرب إذا شربنا ونحن وقوف ولذا أرشدنا الرسول ـ ﷺ ـ إلى الشرب ونحن جلوس .

ورغبنا الرسول ـ ﷺ ـ في القيلولة معللاً ذلك بأن الشياطين لا تقيل (قيلوا فإن الشياطين لا تقيل) رواه أبو نعيم في الطب بإسناد حسن (صحيح الجامع ١٤٧/٤) .

وحذرنا القرآن من الإسراف وقد عدّ المبذرين إخوان الشياطين ، وما ذلك إلا لأنَّ الشياطين تحبُّ إضاعة المال وإنفاقه في غير وجهه .

ومن الإسراف الإكثار من الأثاث والفراش التي لا لزوم له ، يقول

ـ ﷺ ـ : « فراش للرجل ، وفراش لامرأته ، وفراش للضيف ، والرابع للشيطان » رواه أبو داود والنسائي وأحمد بإسناد صحيح (صحيح الجامع ٨/٤) .

ومن هذا المنطلق أمرنا الرسول ـ ﷺ ـ بأن نميط الأذى عن اللقمة التي تسقط من أحدنا ، ولا نتركها للشيطان ، يقول ـ ﷺ ـ : « إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه ، فإذا سقطت اللقمة فليمط ما كان بها من أذى ، ثمَّ ليأكلها ولا يدعها للشيطان ، فإذا فرغ فليلعق أصابعه ، فإنَّه لا يدري في أي طعامه البركة » رواه مسلم في صحيحه (صحيح الجامع ٧٥/٢) .

مراكب الشياطين وبيوت الشياطين :

هذه المراكب الجمال والخيل والحمير في القديم ، والسيارات وأمثالها في الحديث جعلت لمنفعة بني الإنسان ، فإذا كان صاحبها غير شاغل لها كلها ومرَّ على قوم يحتاجون إلى الانتقال إلى المكان المنطلق إليه صاحب المراكب فعليه أن يسمح لهم باستخدامها وإلا كانت مراكب للشياطين ، ففي الحديث « تكون إبل للشياطين . وبيوت للشياطين ، فأمّا إبل الشياطين ، فقد رأيتها ، يخرج أحدكم بجنيبات معه قد أسمنها فلا يعلو بعيراً منها ، ويمر بأخيه قد انقطع به فلا يحمله ، وأمّا بيوت الشياطين فلم أرها » رواه أبو داود بإسناد صحيح (راجع الأحاديث الصحيحة ١٤٨/١) .

ولعلَّ بيوت الشياطين المعنية في الحديث هي هذه السيارات التي يمرّ أصحابها بأولى الحاجة فلا يركبونهم .

وهذه الخيول والدواب التي يقامر عليها ويراهن عليها تعدّ من مراكب الشياطين يقول الرسول ـ ﷺ ـ : « الخيل ثلاثة : ففرس للرحمن ، وفرس للشيطان ، وفرس للإنسان ، فأما فرس الرحمن ؛ فالذي يربط في سبيل الله ، فعلفه وروثه وبوله في ميزانه ، وأمّا فرس الشيطان فالذي يقامر أو

يراهن عليه ، وأما فرس الإنسان فالفرس يرتبطها الإنسان يلتمس بطنها ، فهي ستر من الفقر » رواه أحمد بإسناد صحيح . (صحيح الجامع ١٣٧/٣) .

العجلة من الشيطان :

من الصفات التي يحبها الشيطان العجلة لما توقع الإنسان به من أخطاء ، يقول الرسول - ﷺ - « التأني من الرحمن والعجلة من الشيطان » رواه البيهقي في شعب الإيمان باسناد حسن (صحيح الجامع ٥٧/٣) فعلينا أن نخالف الشيطان في ذلك ونتبع ما يرضي الرحمن ، ولذلك قال الرسول - ﷺ - لأحد اصحابه .« إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله : الحلم والأناة » .

التثاؤب :

ومما يحبه الشيطان من الإنسان التثاؤب ولذا أمرنا الرسول - ﷺ - بكظمه ما استطعنا ، يقول - ﷺ - (التثاؤب من الشيطان ، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع ، فإن أحدكم إذا قال : ها ، ضحك منه الشيطان) متفق عليه . وذلك لأن التثاؤب علامة الكسل ، والشيطان يعجبه ويفرحه من الإنسان كسله وفتوره ؛ إذ بذلك يقل عمله وبذله الذي يرفعه عند ربه .

ثامناً - التوبة والاستغفار :

ومما يواجه به العبد كيد الشيطان أن يسارع بالتوبة والأوبة إلى الله إذا أغواه الشيطان ، وهذا دأب عباد الله الصالحين قال تعالى : (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) (سورة الاعراف/ ٢٠١) .

وقد فسر الطائف بالهمّ بالذنب أو إصابة الذنب ،وقوله: (تذكروا) أي عقاب الله وجزيل ثوابه ، ووعده ووعيده ، فتابوا وأنابوا واستعاذوا بالله ورجعوا إليه من قريب . (فإذا هم مبصرون) قد استقاموا وصحوا

مما كانوا فيه . وهذا يدل على أن الشيطان يكاد يجعل الإنسان في عماية لا يرى الحق ولا يبصره بما يلقيه عليه من غشاوة وما يغشى به القلب من الشبهات والشكوك .

وأخبرنا الرسول ـ ﷺ ـ أن الشيطان قال لرب العزة « وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم ، فقال الربُّ : وعزتي وجلالي لا أزال اغفر لهم ما استغفروني » رواه احمد في مسنده والحاكم في مستدركه (صحيح الجامع ٧٢/٢) .

هذه حال عباد الله الرجوع من قريب والتوبة والإنابة إلى الله ولهم في ذلك أسوة في أبيهم آدم ، فإنه لما أكل من الشجرة تلقى من ربه كلمات فتاب عليه ، توجه آدم وزوجه إلى الله قائلين: (ربنا ظلمنا أنفسنا ، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) (سورة الأعراف /٢٣) .

أمّا أولياء الشيطان فقد قال الله فيهم : (واخوانهم يمدونهم في الغيّ ثم لا يقصرون) (سورة الأعراف /٢٠٢) .

والمراد بإخوانهم هنا : اخوان الشياطين من الإنس كقوله : (إن المبذرين كانوا اخوان الشياطين) (سورة الإسراء /٢٧) وهم أتباعهم والمستمعون لهم ، القابلون لأوامرهم ، يمدونهم في الغيّ : أي بالتزيين والتحسين للذنوب والمعاصي ، بلا كلل ولا ملل . كقوله : (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً) (سورة مريم /٨٣) .

تاسعاً ـ أزل اللبس والغموض الذي يدخل الشيطان منه إلى النفوس :

لا تقف مواقف الشبهة ، وإذا حدث ذلك فوضح للناس حالك حتى لا تدع للشيطان فرصة الوسوسة في صدور المسلمين ، ولك أسوة في رسول الله ـ ﷺ ـ في هذا ، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن صفية بنت حيي زوج النبي ـ ﷺ ـ قالت : « كان رسول الله ـ ﷺ ـ معتكفاً فأتيته

أزوره ليلاً فحدثته ، ثم قمت لأنقلب ، فقام معي لِيَقْلبني - (ليردني إلى منزلي) وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد - فمرَّ رجلان من الأنصار ، فلمّا رأيا رسول الله - ﷺ - أسرعا ، فقال رسول الله - ﷺ - : « على رسلكما إنها صفية بنت حيي » ، فقالا : سبحان الله يا رسول الله !! قال: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرّاً أو قال شيئاً » .

قال الخطابي : « في هذا الحديث من العلم استحباب أن يحذر الإنسان من كل أمر من المكروه مما تجري به الظنون ، ويخطر بالقلوب ، وأن يطلب السلامة من الناس باظهار البراءة من الريب .

ويحكى في هذا عن الشافعي - رضي الله عنه - أنه قال : « خاف النبي - ﷺ - أن يقع في قلوبهما شيء من أمره فيكفرا ، وإنما قاله - ﷺ - شفقة منه عليهما لا على نفسه » (تلبيس ابليس/٤٦) ومما أرشدنا الله إليه القول الحسن مع الآخرين حتى لا يدخل الشيطان بيننا وبين إخواننا فيوقع العداوة والبغضاء ، قال تعالى: (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزع بينهم) (سورة الإسراء/٥٣) وهذا أمر تساهل فيه بعض الناس فتراهم يقولون الكلام الموهم والذي يحتمل وجوهاً عدة بعضها سيء ، وقد يرمي أحدهم أخاه بألفاظ يكرهها ويناديه بألقاب يمقتها فيكون ذلك مدخلاً للشيطان فيفرق بينهم ويحل العداء محل الوفاق والألفة .

علاج الصرع

تحدثنا في ما مضى أن الشيطان قد يصيب الإنسان وهو ما نسميه الصرع أو مس الجن ، وهنا سنحاول أن نبين أسباب الصرع وعلاجه :

أسباب الصرع :

بين ابن تيمية (المجموع ٣٩/١٩) « أن صرع الجن للإنس قد يكون عن شهوة وهوى وعشق كما يتفق للإنس مع الإنس .... ، وقد يكون - وهو

الأكثر ـ عن بغض ومجازاة ، مثل أن يؤذيهم بعض الإنس ، أو يظنوا أنهم يتعمدون أذاهم إما ببول على بعضهم ، وإمّا بصب ماء حار ، واما بقتل بعضهم ، وإن كان الإنس لا يعرف ذلك ، وفي الجن جهل وظلم فيعاقبونه بأكثر مما يستحقه ، وقد يكون عن عبث منهم وشرّ بمثل سفهاء الإنس » .

واجبنا تجاه هؤلاء :

ذكرنا أن الجن عباد مأمورون متعبدون بالشريعة ، فإذا استطاع المسلم أن يصل إلى مخاطبتهم ، كما يحدث مع الجني الذي يصرع الإنسان وجب القيام بذلك .

فإذا كان صرع الجني للإنس من الباب الأول (عن شهوة وهوى) فهو من الفواحش التي حرمها الله تعالى على الإنس والجن ، ولو كانت برضا الطرف الآخر ، فكيف مع كراهته ، فإنّه فاحشة وظلم . فيخاطب الجن بذلك ويعرفون أن هذا فاحشة محرمة ، أو فاحشة وعدوان لتقوم الحجة عليهم بذلك ، ويعلموا أنه يحكم فيهم بحكم الله ورسوله الذي أرسله إلى جميع الثقلين : الإنس والجن .

وما كان من الثاني (إيذاء بعض الإنس لهم) ، فإن كان الإنس لم يعلم فيخاطبون بأن هذا لم يعلم ، ومن لم يتعمد الأذى لا يستحق العقوبة ، وإن كان قد فعل ذلك في داره وملكه عرفوا بأن الدار ملكه فله أن يتصرف فيها بما يجوز ، وأنتم ليس لكم أن تمكثوا في ملك الإنس بغير إذنهم ، بل لكم ما ليس من مساكن الإنس كالخراب والفلوات ...

ويقول ابن تيمية (مجموع الفتاوى ٤٢/١٩) : « والمقصود أن الجن إذا اعتدوا على الإنس أخبروا بحكم الله ورسوله ، وأقيمت عليهم الحجة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، كما يفعل بالإنس ؛ لأن الله يقول : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) ، (سورة الاسراء / ١٥) وقال :

(يا معشر الجن والإنس ، ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا) ؟ (سورة الانعام/١٣٠) .

النهي عن قتل حيات البيوت :

يقول ابن تيمية : « ولهذا نهى النبي - ﷺ - عن قتل حيات البيوت حتى تؤذن ثلاثاً وقد سبق ذكر النصوص المبينة لذلك ، وقد ساق ابن تيمية تلك النصوص ، ثمَّ بين السبب الذي من أجله نهى عن قتل جنان البيوت فقال : (وذلك أن قتل الجن بغير حق لا يجوز ، كما لا يجوز قتل الإنس بلا حق ، والظلم محرم في كل حال ، فلا يحلُّ لأحد أن يظلم أحداً ولو كان كافراً ، بل قال تعالى : (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى) (سورة المائدة/٨) فإذا كانت حيات البيوت قد تكون جنّا فتؤذن ثلاثاً ، فإن ذهبت وإلا قتلت ، فإنها إن كانت حية قتلت ، وإن كانت جنية فقد أصرت على العدوان بظهورها للإنس في صورة حية تفزعهم بذلك ، والعادي هو الصائل الذي يجوز دفعه بما يدفع ضرره ولو كان قتلاً ، وأما قتلهم بدون سبب يبيح ذلك فلا يجوز » .

سب الجان وضربهم :

وذكر ابن تيمية أن واجب المؤمن نصرة أخيه المظلوم وهذا المصروع مظلوم ، ولكن النصرة تكون بالعدل كما أمر الله ، فإذا لم يرتدع الجني بالأمر والنهي والبيان ، فإنّه يجوز نهره وسبه وتهديده ولعنه ، كما فعل الرسول - ﷺ - مع الشيطان عندما جاء بشهاب ليرميه في وجه الرسول - ﷺ - ، فقال عليه السلام : (أعوذ بالله منك ، ألعنك بلعنة الله - ثلاثاً) .

وذكر أنه قد يحتاج في إبراء المصروع ودفع الجني عنه إلى الضرب ، فيضرب ضرباً كثيراً جدّاً ، والضرب إنما يقع على الجني ولا يحسه المصروع ، حتى يفيق المصروع ويخبر أنه لم يحس شيئاً من ذلك ، ولا يؤثر في بدنه ،

ويكون قد ضرب بعصا قوية على رجليه نحو ثلاثمائة أو أربعمائة ضربة أو أكثر أو أقل ، بحيث لو كان على الإنسي لقتله ، وإنما هو على الجني ، والجني يصيح ويصرخ ، ويحدث الحاضرين بأمور متعددة ، ويذكر ابن تيمية أنه فعل هذا وجربه مرات كثيرة يطول وصفها بحضرة كثيرين .

الاستعانة على الجان بالذكر وقراءة القرآن :

وخير ما يستعان به على الجني الذي يصرع الإنسان ذكر الله وقراءة القرآن ، ومن أعظم ذلك قراءة آية الكرسي ، « فإن من قرأها لن يزال عليه من الله حافظ ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح » . كما صح الحديث بذلك وهو في صحيح البخاري .

يقول ابن تيمية (مجموع الفتاوى ٥٥/١٩) : « ومع هذا فقد جرب المجربون الذين لا يحصون كثرة أن لها من التأثير في دفع الشياطين وابطال أحوالهم ما لا ينضبط من كثرته وقوته ، فإن لها تأثيراً عظيماً في دفع الشياطين عن نفس الإنسان وعن المصروع وعمن تعينه الشياطين ، مثل أهل الظلم والغضب وأهل الشهوة والطرب ، وأرباب سماع المكاء والتصدية ، إذا قرئت عليهم بصدق دفعت الشياطين ، وبطلت الأمور التي يخيلها الشيطان ، ويبطل ما عند اخوان الشياطين من مكاشفة شيطانية وتصرف شيطاني ، إذ كانت الشياطين يوحون إلى أوليائهم بأمور يظنها الجهال من كرامات أولياء الله المتقين ، وإنَّما هي من تلبيسات الشياطين على أوليائهم المغضوب عليهم والضالين » .

طرد الرسول ـ ﷺ ـ للجن من بدن المصروع :

فعل ذلك الرسول ـ ﷺ ـ أكثر من مرة . ففي سنن أبي داود ومسند الامام أحمد عن أم أبان بنت الوازع بن زارع بن عامر العبدي ، عن أبيها ، أن جدها الزارع انطلق إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فانطلق معه بابن له مجنون ، أو ابن أخت له ـ قال جدي : فلما قدمنا على رسول الله ـ ﷺ ـ قلت إن

معي ابناً لي أو ابن اخت لي ـ مجنون ، أتيتك به تدعو الله له ، قال : (أئتني به) ، قال : فانطلقت به إليه وهو في الركاب ، فاطلقت عنه ، وألقيت عنه ثياب السفر ، وألبسته ثوبين حسنين ، وأخذت بيده حتى انتهت به إلى النبي ـ ﷺ ـ ، فقال : « أدنه مني ، اجعل ظهره مما يليني» قال بمجامع ثوبه من أعلاه وأسفله ، فجعل يضرب ظهره حتى رأيت بياض إبطيه ، ويقول : « أخرج عدو الله ، اخرج عدو الله » ، فأقبل ينظر نظر الصحيح ليس بنظره الأول . ثم أقعده رسول الله ـ ﷺ ـ بين يديه ، فدعا له بماء فمسح وجهه ودعا له ، فلم يكن في الوفد أحد بعد دعوة رسول الله ـ ﷺ ـ يفضل عليه .

وفي المسند أيضاً عن يعلى بن مرة قال : رأيت من رسول الله ـ ﷺ ـ ثلاثاً ما رآها أحد قبلي ، ولا يراها أحد بعدي ، لقد خرجت معه في سفر حتى إذا كنا ببعض الطريق مررنا بامرأة جالسة معها صبي لها ، فقالت يا رسول الله : هذا الصبي أصابه بلاء وأصابنا منه بلاء ، يؤخذ في اليوم لا أدري كم مرة ، قال : « ناولينيه » ، فرفعته إليه ، فجعله بينه وبين واسطة الرحل ، ثم فغر (فاه) ، فنفث فيه ثلاثاً ، وقال : « بسم الله ، أنا عبد الله ، اخسأ عدو الله » ، ثمَّ ناولها إياه ، فقال : « القينا في الرجعة في هذا المكان ، فأخبرينا ما فعل » ، قال : فذهبنا ورجعنا فوجدناها في ذلك المكان معها ثلاث شياه ، فقال : « ما فعل صبيك ؟ » فقالت : والذي بعثك بالحق ما حسسنا منه شيئاً حتى الساعة ، فاجترر هذه الغنم ، قال « انزل خذ منها واحدة ورد البقية » .

فقد أخرج الرسول ـ ﷺ ـ الجني بالأمر والنهر واللعن ، ولكن هذه لا تكفي وحدها ، فإنَّ لقوة الإيمان وثبات اليقين وحسن الصلة بالله أثر كبير في هذا ، يدلك على ذلك الواقعة التالية :

الامام أحمد يأمر الجني بالخروج فيستجيب :

روي أنَّ الامام أحمد كان جالساً في مسجده ، إذ جاءه صاحب له من

قبل الخليفة المتوكل ، فقال :

إن في بيت أمير المؤمنين جارية بها صرع ، وقد أرسلني إليك ، لتدعو الله لها بالعافية :

فأعطاه الامام أحمد نعلين من الخشب ، وقال :

اذهب إلى دار أمير المؤمنين ، واجلس عند رأس الجارية ، وقل للجني : قال لك أحمد : أيما أحبُّ إليك : تخرج من هذه الجارية ، أو تصفع بهذا النعل سبعين ؟

فذهب الرجل ومعه النعل إلى الجارية ، وجلس عند رأسها ، وقال كما قال له الإمام أحمد .

فقال المارد على لسان الجارية :

السمع والطاعة لأحمد ، لو أمرنا أن نخرج من العراق لخرجنا منه ، إنّه أطاع الله ، ومن أطاع الله أطاعه كل شيء .

ثمَّ خرج من الجارية ، فهدأت ، ورزقت أولاداً .

فلما مات الإمام ، عاد لها المارد ، فاستدعى لها الأمير صاحباً من أصحاب أحمد ، فحضر ، ومعه ذلك النعل ، وقال للمارد : اخرج وإلا ضربتك بهذه النعل .

فقال المارد : لا أطيعك ولا أخرج ، أما أحمد بن حنبل ، فقد أطاع الله فأمرنا بطاعته .

ما ينبغي أن يكون عليه المعالج :

وينبغي للمعالج أن يكون قوي الإيمان بالله معتمداً عليه ، واثقاً بتأثير الذكر وقراءة القرآن ، وكلما قوي إيمانه وتوكله قوي تأثيره ، فربما كان أقوى من الجني فأخرجه ، وربما كان الجني أقوى فلا يخرج ، وربما كان

المخرج للجني ضعيفاً فتتقصد الجن ايذاءه ، فعليه بكثرة الدعاء والاستعانة عليهم بالله ، وقراءة القرآن خاصة آية الكرسي .

الرقى والتعاويذ :

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى : (مجموع الفتاوى ٢٤/٢٧٧) « وأما معالجة المصروع بالرقى ، والتعويذات فهذا على وجهين :

فإن كانت الرقى والتعاويذ مما يعرف معناها ، ومما يجوز في دين الإسلام أن يتكلم به الرجل ، داعياً الله ، ذاكراً له ، ومخاطباً لخلقه ، ونحو ذلك ، فإنه يجوز أن يرقى بها المصروع ، ويعوذ ، فإنّه قد ثبت في الصحيح عن النبي ـ ﷺ ـ : « أنّه أذن في الرقى ما لم تكن شركاً » وقال : «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل » .

وإن كان في ذلك كلمات محرمة ، مثل أن يكون فيها شرك ، أو كانت مجهولة المعنى ، يحتمل أن يكون فيها كفر ، فليس لأحد أن يرقى بها ولا يعزم ، ولا يقسم ، وإن كان الجني قد ينصرف عن المصروع بها ، فإنما حرمه الله ورسوله ضرره أكثر من نفعه ..

وذكر في موضع آخر (مجموع الفتاوى ١٩/٤٦) أن أرباب العزائم الشركية كثيراً ما يعجزون عن دفع الجني ، وكثيراً ما تسخر منهم الجن إذا طلبوا منهم قتل الجني الصارع للإنس أو حبسه ، فيخيلوا إليهم أنهم قتلوه أو حبسوه ويكون ذلك تخييلاً وكذباً .

استرضاء الجن :

وبعض الناس يحاولون استرضاء الجني الذي يصرع الإنسان بالذبح له ، وهذا من الشرك الذي حرمه الله ورسوله ، وروى أنه نهى عن ذبائح الجن .

وقد يزعم بعض الناس أن هذا من باب التداوي بالحرام ، وهذا خطأ

كبير ، فالصواب أن الله لم يجعل الشفاء في شيء من المحرمات ، وعلى القول بجواز التداوي بالمحرمات كالميتة والخمر ، فلا يجوز أن يستدل بذلك على الذبح للجني ؛ لأن التداوي بالمحرمات فيه نزاع لبعض العلماء ، أمّا التداوي بالشرك والكفر فلا خلاف بين العلماء في تحريمه ، ولا يجوز التداوي به باتفاق .

حقيقة الصِرَاع

في ختام هذا الفصل احب أن اثبت فصلاً هامّاً من كلام ابن القيم صوّر فيه ـ رحمه الله ـ حقيقة الصراع وطبيعته ، يقول ابن القيم ما ملخصه (الوابل الصيب /٢١) : « اختار الله الإنسان من بين خلقه فكرمه واصطفاه وجعله محلاً للإيمان والتوحيد والاخلاص والمحبة والرجاء ، وابتلاه بالشهوة والغضب والغفلة ، وابتلاه بعدوه إبليس لا يفتر عنه » .

ثم يقول ابن القيم ما نصه : (فهو أي لشيطان) يدخل عليه من الأبواب التي هي من نفسه وطبعه ، فتميل نفسه معه ، لأنه يدخل عليها بما تحب ، فيتفق هو ونفسه وهواه على العبد : ثلاثة مسلطون آمرون ، فيبعثون الجوارح في قضاء وطرهم ، والجوارح آلة منقادة ، فلا يمكنها إلا الانبعاث ، فهذا شأن هذه الثلاثة ، وشأن الجوارح ، فلا تزال الجوارح في طاعتهم كيف أمروا وأين يمموا . هذا مقتضى حال العبد ، فاقتضت رحمة ربِّه العزيز الرحيم به أن أعانه بجند آخر ، وأمدّه بمدد آخر يقاوم به هذا الجند الذي يريد هلاكه ، فأرسل إليه رسوله ، وأنزل عليه كتابه ، وأيده بملك كريم يقابل عدوه الشيطان ، فإذا أمره الشيطان بأمر ، أمره الملك بأمر ربِّه ، وبين له ما في طاعة العدو من الهلاك ، فهذا يلم به مرة ، وهذا مرة ، والمنصور من نصره الله عز وجل ، والمحفوظ من حفظه الله تعالى . وجعل له مقابل نفسه الأمّارة نفساً مطمئنة ، إذا أمرته النفس الأمّارة بالسوء ، نهته عنه النفس المطمئنة ،

وإذا نهته الأمّارة عن الخير ، أمرته به النفس المطمئنة . فهو يطيع هذه مرة ، وهذه مرة ، وهو الغالب عليه منهما ، وربما انقهرت احداهما بالكلية قهراً لا تقوم معه أبداً .

وجعل له مقابل الهوى الحامل له على طاعة الشيطان والنفس الأمارة نوراً وبصيرة ، وعقلاً يرده عن الذهاب مع الهوى ، فكلما أراد أن يذهب مع الهوى ناداه العقل والبصيرة والنور : الحذر الحذر ، فإن المهالك والمتالف بين يديك ، وأنت صيد الحرامية ، وقطاع الطريق إن سرت خلف هذا الدليل .

فهو يطيع الناصح مرة ، فيبين له رشده ونصحه ، ويمشي خلف دليل الهوى مرة ، فيقطع عليه الطريق ، ويؤخذ ماله ، وتسلب ثيابه ، فيقول : ترى من أين أتيت ، والعجب أنه يعلم من أين أتى ، ويعرف الطريق التي قطعت عليه ، وأخذ فيها ، ويأبى إلا سلوكها ، لأنَّ دليله تمكن منه ، وتحكم فيه ، وقوي عليه ، ولو أضعفه بالمخالفة له ، وزجره إذا دعاه ، ومحاربته إذا أراد أخذه ، لم يتمكن منه ، ولكن هو مكنه من نفسه ، وهو أعطاه يده ، فهو بمنزلة الرجل يضع يده في يد عدوه ، فيباشره ثمَّ يسومه سوء العذاب ، فهو يستغيث فلا يغاث ، فهكذا يستأسر للشيطان والهوى ولنفسه الأمارة ، ثم يطلب الخلاص ، فيعجز عنه ، فلما أن بلى العبد بما بلى به ، أعين بالعساكر والعدد والحصون ، وقيل : قاتل عدوك وجاهده ، فهذه الجنود خذ منها ما شئت ، وهذه الحصون تحصن بأي حصن شئت منها ، ورابط إلى الموت ، فالأمر قريب ، ومدة المرابطة يسيرة جداً ، فكأنك بالملك الأعظم وقد أرسل إليك رسله ، فنقلوك إلى داره ، واسترحت من هذا الجهاد ، وفرق بينك وبين عدوك ، وأطلقت في دار الكرامة تتقلب فيها كيف شئت ، وسجن عدوك في أصعب الحبوس وأنت تراه .

فالسجن الذي كان يريد أن يودعك فيه قد أدخله وأغلقت عليه أبوابه ، وأيس من الروح والفرج ، وأنت فيما اشتهت نفسك ، وقرَّت عينك ،

جزاءً على صبرك في تلك المدة اليسيرة ، ولزومك الثغر للرباط ، وما كانت الا ساعة ثمَّ انقضت ، وكأنَّ الشدة لم تكن . فإن ضعفت النفس عن ملاحظة قصر الوقت وسرعة انقضائه ، فليتدبر قوله عز وجل : (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار) (سورة الأحقاف /٣٥) وقوله عز وجل : (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) (سورة النازعات /٤٦) وقوله عز وجل : (قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين؟ قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادّين قال : إن لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون) (سورة المؤمنون /١١٢ ـ ١١٤) وقوله تعالى : (يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زُرقاً ، يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشراً ، نحن أعلم بما يقولون ، إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوماً) (سورة طه / ١٠٢ ـ ١٠٤) وخطب النبي ـ ﷺ ـ أصحابه يوماً ، فلما كانت الشمس على رؤوس الجبال ، وذلك عند الغروب قال : (إنَّه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه (رواه أحمد في المسند ، والترمذي في سننه ، وقال الترمذي حديث حسن صحيح) فليتأمل العاقل الناصح لنفسه هذا الحديث ، وليعلم أي شيء حصل له من هذا الوقت الذي قد بقي من الدنيا بأسرها ، ليعلم أنه في غرور وأضغاث أحلام ، وأنه قد باع سعادة الأبد والنعيم المقيم بحظ خسيس لا يساوي شيئاً ، ولو طلب اللهَ تعالى والدارَ الآخرة لأعطاه ذلك الحظ هنيئاً موفوراً وأكمل منه ، كما في بعض الآثار :

ابن آدم ، بع الدنيا بالآخرة تربحهما جميعاً ، ولا تبع الآخرة بالدنيا تخسرهما جميعاً .

وقال بعض السلف : ابن آدم ، أنت محتاج إلى نصيبك من الدنيا ، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج . فإن بدأت بنصيبك من الدنيا أضعت نصيبك من الآخرة ، وكنت من نصيب الدنيا على خطر ، وإن بدأت بنصيبك من الآخرة فزت بنصيبك من الدنيا فانتظمته انتظاماً .

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يقول في خطبته : أيها الناس ، إنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولم تتركوا سدى . وإن لكم معاداً يجمعكم الله عز وجل فيه للحكم فيكم ، والفصل بينكم ، فخاب وشقي عبد أخرجه الله عز وجل من رحمته التي وسعت كل شيء ، وجنته التي عرضها السموات والأرض ، وإنما يكون الأمان غداً لمن خاف الله تعالى واتقى ، وباع قليلاً بكثير ، وفانياً بباقٍ ، وشقاوة بسعادة ، ألا ترون أنكم في أصلاب الهالكين ، وسيخلفه بعدكم الباقون ؟ ألا ترون أنكم في كل يوم تشيِّعون غادياً رائحاً إلى الله قد قضى نحبه ، وانقطع أمله ، فتضعونه في بطن صدع من الأرض غير موسَّد ولا ممهد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وواجه الحساب ؟ .

والمقصود أن الله عز وجل قد أمد العبد في هذه المدة اليسيرة بالجنود ، والعدد ، والامداد ، وبين له بماذا يحرز نفسه من عدوه ، وبماذا يَفتَكُّ نفسه إذا أسر . وقد روى الإمام أحمد رضي الله عنه ، والترمذي ، من حديث الحارث الأشعري ، عن النبي ﷺ أنه قال : «إنَّ اللهَ سُبحانَه وتعالى أمَرَ يحيى بن زكريا ﷺ بخمسِ كلماتٍ : أن يعمل بها ، ويأمرَ بني إسرائيلَ أن يعمَلُوا بها ، وأنه كادَ أن يُبطىء بها ، فقال له عيسى عليه السلام : إنَّ الله تعالى أمركَ بخمسِ كلماتٍ لتعملَ بها ، وتأمر بني إسرائيلَ أن يعمَلُوا بها ، فإما أن تأمرهم ، وإما أن آمُرَهُم ، فقال يحيي : أخشى إن سبقتني بها أن يخسف بي وأعذب ، فجمع يحيي الناس في بيت المقدس ، فامتلأ المسجد ، وقعدوا على الشرف ، فقال : إن الله تبارك وتعالى أمرني بخمس كلمات أن أعْمَلَهن ، وآمُرَكُم أن تعمَلُوا بهن .

وخامس هذه الخمسة التي أمرهم بها الذكر (وآمركم أن تذكروا الله تعالى فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً حتى أتى على حصن حصين ، فأحرز نفسه منهم ، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى) قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح .

ومما أمرهم به في الحديث الصلاة : «وآمركم بالصلاة ، فاذا صليتم ، فلا تلتفتوا فان الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت» الالتفات المنهي عنه في الصلاة قسمان . أحدهما : التفات القلب عن الله عز وجل إلى غير الله تعالى . والثاني : التفات البصر . وكلاهما منهي عنه . ولا يزال الله مقبلاً على عبده ما دام العبد مقبلاً على صلاته ، فاذا التفت بقلبه أو بصره ، أعرض الله تعالى عنه . وقد سئل رسول الله ﷺ عن التفات الرجل في صلاته فقال : « اخْتِلاَسٌ يَخْتَلِسُهُ ٱلشَّيْطَانُ مِنْ صَلاَةِ ٱلْعَبْدِ »[1] وفي أثر : يقول الله تعالى : « إلى خير مني ، إلى خير مني » ؟ ومثل من يلتفت في صلاته ببصره أو بقلبه ، مثل رجل قد استدعاه السلطان ، فأوقفه بين يديه ، وأقبل يناديه ويخاطبه ، وهو في خلال ذلك يلتفت عن السلطان يميناً وشمالاً ، وقد انصرف قلبه عن السلطان ، فلا يفهم ما يخاطبه به ، لأن قلبه ليس حاضراً معه ، فما ظن هذا الرجل أن يفعل به السلطان ؟ أفليس أقل المراتب في حقه أن ينصرف من بين يديه ممقوتاً مبعداً قد سقط من عينيه ؟ فهذا المصلي لا يستوي والحاضر القلب المقبل على الله تعالى في صلاته الذي قد أشعر قلبه عظمة من هو واقف بين يديه ، فامتلأ قلبه من هيبته ، وذلت عنقه له ، واستحى من ربه تعالى أن يقبل على غيره ، أو يلتفت عنه . وبين صلاتيهما كما السماء والأرض قال حسان ابن عطية : ان الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة ،وإن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض ، وذلك أن أحدهما مقبل بقلبه على الله عز وجل ، والآخر ساهٍ غافل . فاذا أقبل العبد على مخلوق مثله ، وبينه وبينه حجاب ، لم يكن إقبالاً ولا تقريباً ، فما الظن بالخالق عز وجل ؟

وإذا أقبل على الخالق عز وجل ، وبينه وبينه حجاب الشهوات والوساوس .

(١) رواه أحمد في « المسند » ٦/٧ و١٠٦ . والبخاري ١٩٤/٢ في « الأذان » باب الالتفات في الصلاة . وأبو داود رقم ٩١٠ في الصلاة باب الالتفات في الصلاة . والترمذي رقم ٥٩٠ في الصلاة باب ما جاء في الالتفات في الصلاة . والنسائي ٨/٣ في السهو باب التشديد في الالتفات في الصلاة من حديث عائشة رضي الله عنها (محقق الوابل الصيب) .

والنفس مشغوفة بها ، ملأى منها ، فكيف يكون ذلك إقبالاً وقد ألهته الوساوس والأفكار ، وذهبت به كل مذهب؟ والعبد إذا قام في الصلاة غار الشيطان منه ، فانه قد قام في أعظم مقام ، وأقربه وأغيظه للشيطان ، وأشده عليه ، فهو يحرص ويجتهد كل الاجتهاد أن لا يقيمه فيه ، بل لا يزال به يعده ويمنّيه وينسيه ، ويجلب عليه بخيله ورجِله حتى يهوِّن عليه شأن الصلاة ، فيتهاون بها فيتركها . فان عجز عن ذلك منه ، وعصاه العبد ، وقام في ذلك المقام ، أقبل عدو الله تعالى حتى يخطر بينه وبين نفسه ، ويحول بينه وبين قلبه ، فيذكِّره في الصلاة ما لم يكن يذكر قبل دخوله فيها ، حتى ربما كان قد نسي الشيء والحاجة ، وأيس منها ، فيذكره إياها في الصلاة ليشغل قلبه بها ، ويأخذه عن الله عز وجل ، فيقوم فيها بلا قلب ، فلا ينال من إقبال الله تعالى وكرامته وقربه ما يناله المقبل على ربه عز وجل الحاضر بقلبه في صلاته ؛ فينصرف من صلاته مثل ما دخل فيها بخطاياه وذنوبه ، وأثقاله لم تخف عنه بالصلاة ، فإن الصلاة إنما تكفر سيئات من أدى حقها ، وأكمل خشوعها ، ووقف بين يدي الله تعالى بقلبه وقالبه . فهذا إذا انصرف منها وجد خفة من نفسه ، وأحس بأثقال قد وضعت عنه . فوجد نشاطاً وراحة وروحاً ، حتى يتمنى أنه لم يكن خرج منها ، لأنها قرة عينيه ونعيم روحه ، وجنة قلبه ، ومستراحه في الدنيا ، فلا يزال كأنه في سجن وضيق حتى يدخل فيها ، فيستريح بها ، لا منها ، فالمحبون يقولون : نصلي فنستريح بصلاتنا ، كما قال إمامهم وقدوتهم ونبيهم : « يَا بلالُ أَرِحْنَا بالصَّلاةِ » ، ولم يقل : أرحنا منها ، وقال ﷺ : « جُعِلْتُ قُرَّة عَيْني في ٱلصَّلاَةِ » فمن جعلت قرة عينه في الصلاة ، كيف تقر عينه ﷺ بدونها ، وكيف يطيق الصبر عنها؟....

وقد روي أن العبد إذا قام يصلي قال الله عز وجل : ارفعوا الحجب ، فإذا التفت قال : أرخوها ، وقد فسر هذا الالتفات بالتفات القلب عن الله عز وجل إلى غيره ، فإذا التفت إلى غيره ، أرخى الحجاب بينه وبين العبد ،

فدخل الشيطان ، وعرض عليه أمور الدنيا ، وأراه إياها في صورة المرآة . وإذا أقبل بقلبه على الله ولم يلتفت ، لم يقدر الشيطان على أن يتوسط بين الله تعالى وبين ذلك القلب ، وإنما يدخل الشيطان إذا وقع الحجاب ، فإن فر إلى الله تعالى وأحضر قلبه فر الشيطان ، فإن التفت حضر الشيطان . فهو هكذا شأنه وشأن عدوه في الصلاة

كيف يجعل المصلي قلبه حاضراً في الصلاة ؟

وإنما يقوي العبد على حضوره في الصلاة واشتغاله فيها بربه عز وجل إذا قهر شهوته وهواه ، وإلا فقلب قد قهرته الشهوة ، وأسره الهوى ، ووجد الشيطان فيه مقعداً تمكن فيه . كيف يخلص من الوساوس والأفكار ؟ !

والقلوب ثلاثة :

قلب خالٍ من الإيمان وجميع الخير ، فذلك قلب مظلم قد استراح الشيطان من إلقاء الوساوس إليه ، لأنه قد اتخذه بيتاً ووطناً ، وتحكَّم فيه بما يريد ، وتمكَّن منه غاية التمكن .

القلب الثاني : قلب قد استنار بنور الإيمان ، وأوقد فيه مصباحه ، لكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف الأهوية ، فللشيطان هناك إقبال وإدبار ومجالات ومطامع ، فالحرب دول وسجال .

وتختلف أحوال هذا الصنف بالقلة والكثرة ، فنهم مَن أوقات غلبته لعدوه أكثر ، ومنهم من أوقات غلبة عدوه له أكثر ، ومنهم من هو تارة وتارة .

القلب الثالث : قلب محشو بالإيمان قد استنار بنور الإيمان ، وانقشعت عنه حجب الشهوات ، وأقلعت عنه تلك الظلمات ، فلنوره في صدره إشراق ، ولذلك الاشراق إيقاد لو دنا منه الوسواس احترق به ، فهو كالسماء التي حرست بالنجوم ، فلو دنا منها الشيطان يتخطاها رجم فاحترق وليست السماء

بأعظم حرمة من المؤمن . وحراسة الله تعالى له أتم من حراسة السماء ، والسماء متعبَّد الملائكة . ومستقرُّ الوحي ، وفيها أنوار الطاعات ، وقلب المؤمن مستقر التوحيد والمحبة والمعرفة والإيمان ، وفيه أنوارها ، فهو حقيق أن يحرس ويحفظ من كيد العدو ، فلا ينال منه شيئاً إلا خطفة ، وقد مثل ذلك بمثال حسن .

وهو ثلاثة بيوت :

بيت للملك فيه كنوزه وذخائره وجواهره .

وبيت للعبد فيه كنوز العبد وذخائره وجواهره ، وليس جواهر الملك وذخائره .

وبيت خال صفر لا شيء فيه ، فجاء اللص يسرق من أحد البيوت ، فمن أيّها يسرق ؟

فإن قلت : من البيت الخالي ، كان محالاً ، لأن البيت الخالي ليس فيه شيء يسرق ، ولهذا قيل لابن عباس رضي الله عنهما : إن اليهود تزعم أنها لا توسوس في صلاتها ، فقال : وما يصنع الشيطان بالقلب الخراب ؟

وإن قلت : يسرق من بيت الملك ، كان ذلك كالمستحيل الممتنع ، فإن عليه من الحرس واليزَك[1] ما لا يستطيع اللص الدنو منه ، كيف وحارسه الملك بنفسه ، وكيف يستطيع اللص الدنو منه وحوله من الحرس والجند ما حوله ؟ فلم يبق للّص إلا البيت الثالث ، فهو الذي يشن عليه الغارات .

فليتأمل اللبيب هذا المثال حق التأمل ، ولينزله على القلوب ، فانها على منواله .

فقلب خلا من الخير كله ، وهو قلب الكافر والمنافق ، فذلك بيت الشيطان ، قد أحرزه لنفسه واستوطنه واتخذه سكناً ومستقراً ، فأي شيء يسرق منه وفيه

(١) يزك ويسك (بالتركية) : بمعنى المنع والخطر والزجر .

خزائنه وذخائره وشكوكه وخيالاته ووساوسه ؟ .

وقلب قد امتلأ من جلال الله عز وجل وعظمته ومحبته ومراقبته والحياء منه ، فأَيُّ شيطان يجترىء على هذا القلب ؟ وإن أراد سرقة شيء منه ، فماذا يسرق ، وغايته أن يظفر في الأحايين منه بخطفة ونهب يحصل له على غرة من العبد وغفلة لا بد له منها ، إذ هو بشر ، وأحكام البشرية جارية عليه من الغفلة والسهو والذهول وغلبة الطبع .

وقد ذكر عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى أنه قال : في بعض الكتب الإلهية : « لست أسكن البيوت ، ولا تَسعني ، وأيُّ شيء يَسعني والسموات حشو كرسيَّ ؟ ولكن أنا في قلب الوادع التارك لكل شيء سواي » وهذا معنى الأثر الآخر « ما وسعتني سمواتي ولا أرضي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن[1] » . وقلب فيه توحيد الله تعالى ومعرفته ومحبته والإيمان به والتصديق بوعده ، وفيه شهوات النفس وأخلاقها ودواعي الهوى والطبع .

وقلب بين هذين الداعيين . فمرة يميل بقلبه داعي الايمان والمعرفة والمحبة لله تعالى وإرادته وحده ، ومرة يميل بقلبه داعي الشيطان والهوى والطباع ، فهذا القلب للشيطان فيه مطمع ، وله منه منازلات ووقائع ، ويعطي الله النصر من يشاء (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) (سورة آل عمران /١٢٦) وهذا لا يتمكن الشيطان منه إلا بما عنده من سلاحه ، فيدخل إليه الشيطان ، فيجد سلاحه عنده فيأخذه ويقاتله به ، فإن أسلحته هي الشهوات والشبهات والخيالات والأماني الكاذبة ، وهي في القلب ، فيدخل الشيطان فيجدها

---

(١) قال السخاوي في « المقاصد الحسنة » ذكره الغزالي في « الاحياء » بلفظ : قال الله : لم يسعني ، وذكره بلفظ : ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع ، قال السخاوي : وقال العراقي : لم أر له أصلاً ، وكذا قال ابن تيمية : هو مذكور في الاسرائيليات ، وليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ ، ونقل عن ابن الزركشي أن بعض أهل العلم قال : إنه حديث باطل ، وهو من وضع الملاحدة ، ونقله عنه العجلوني في « كشف الخفاء » وأقره عليه . (محقق الوابل الصيب) .

عتيدة فيأخذها ويصول بها على القلب ، فإن كان عند العبد عدة عتيدة من الإيمان تقاوم تلك العدة وتزيد عليها ، انتصف من الشيطان ، وإلا فالدولة لعدوه عليه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . فإذا أذن العبد لعدوه ، وفتح له باب بيته وأدخله عليه ومكنه من السلاح يقاتله به فهو الملوم .

فَنَفْسَك لم ولا تَلُم المطايا وَمُت كمداً فليس لك اعتذارُ

الفصل السادس

الحكمة من خلق الشيطان

الحكمة من خلق الشيطان

الشيطان منبع الشرور والآلام ، فهو القائد إلى الهلاك الدنيوي والأخروي ، ورافع الراية في كل وقت ومكان ، يدعو الناس إلى الكفران ، ومعصية الرحمن . فهل في خلقه من حكمة ؟ وما هذه الحكمة ؟

أجاب عن هذا السؤال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه (شفاء العليل ص ٣٢٢) فقال :

(في خلق إبليس وجنوده من الحكم ما لا يحيط بتفصيله إلا الله)

١ ـ ما يترتب على مجاهدة الشيطان وأعوانه من اكمال مراتب العبودية :

فنها أن يكمل لأنبيائه وأوليائه مراتب العبودية بمجاهدة عدو الله وحزبه ومخالفته ومراغمته في الله ، واغاظته واغاظة أوليائه ، والاستعاذة به منه ، واللجوء إليه أن يعيذهم من شرّه وكيده ، فيترتب على ذلك من المصالح الدنيوية والأخروية ما لم يحصل بدونه ... والموقوف على الشيء لا يحصل بدونه .

٢ ـ خوف العباد من الذنوب :

ومنها خوف الملائكة والمؤمنين من ذنبهم بعدما شاهدوا من حال إبليس ما شاهدوه ، وسقوطه من المرتبة الملكية إلى المنزلة الإبليسية يكون أقوى وأتم ، ولا ريب ان الملائكة لما شاهدوا ذلك حصلت لهم عبودية أخرى للربّ تعالى ، وخضوع آخر ، وخوف آخر ، كما هو المشاهد من حال عبيد الملك إذا رأوه قد أهان أحدهم الاهانة التي بلغت منه كل مبلغ ، وهم يشاهدونه فلا ريب

أن خوفهم وحذرهم يكون أشد .

٣ ـ جعله الله عبرة لمن اعتبر :

ومنها أن الله جعله عبرة لمن خالف أمره ، وتكبَّر عن طاعته ، وأصرَّ على معصيته ، كما جعل ذنب أبي البشر عبرة لمن ارتكب نهيه ، أو عصى أمره ، ثمَّ تاب وندم ، ورجع إلى ربه ، فابتلى أبوي الجن والإنس بالذنب ، وجعل هذا الأب عبرة لمن أصر وأقام على ذنبه ، وهذا الأب عبرة إن تاب ورجع إلى ربِّه فلله كم في ضمن ذلك من الحكم الباهرة ، والآيات الظاهرة .

٤ ـ جعله فتنة واختباراً لعباده :

ومنها أنّه محك امتحن الله به خلقه ؛ ليتبين به خبيثهم من طيبهم ، فإنَّه سبحانه خلق النوع الإنساني من الأرض ، وفيها السهل والحزن ، والطيب والخبيث ، فلا بدَّ أن يظهر ما كان في مادتهم ، كما في الحديث الذي رواه الترمذي مرفوعاً : (إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على مثل ذلك ، منهم الطيب والخبيث والسهل والحزن وغير ذلك ، فما كان في المادة الأصلية فهو كائن في المخلوق منها ، فاقتضت الحكمة الإلهية اخراجه وظهوره ، فلا بدَّ إذاً من سبب يظهر ذلك ، وكان إبليس محكاً يميز به الطيب من الخبيث كما جعل أنبياءه ورسله محكاً لذلك التمييز ، قال تعالى : (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) (سورة آل عمران /١٧٩) فأرسل رسله إلى المكلفين ، وفيهم الطيب والخبيث ، فانضاف الطيب إلى الطيب ، والخبيث إلى الخبيث .

واقتضت حكمته البالغة أن خلطهم في دار الامتحان ، فإذا صاروا إلى دار القرار يميز بينهم ، وجعل لهؤلاء داراً ولهؤلاء داراً على حدة حكمة بالغة ، وقدرة باهرة .

٥ ـ اظهار كمال قدرته سبحانه بخلق الأضداد :

ومن هذه الحكم أن يظهر كمال قدرته في خلق مثل جبريل والملائكة وإبليس والشياطين ، وذلك من أعظم آيات قدرته ومشيئته وسلطانه ، فإنه خالق الأضداد كالسماء والأرض ، والضياء والظلام ، والجنَّة والنار ، والماء والنار ، والحر والبرد ، والطيب والخبيث .

٦ ـ الضد يظهر حسنه الضد :

ومن هذه الحكم أن خلْق أحد الضدين من كمال حسن ضده ، فإنَّ الضد إنما يظهر حسنه بضده ، فلولا القبيح لم تعرف فضيلة الجميل ، ولولا الفقر لم يعرف قدر الغنى .

٧ ـ والابتلاء به سبيل إلى تحقيق الشكر :

ومن هذه الحكم أنه سبحانه ، يحبُّ أن يشكر بحقيقة الشكر وأنواعه ، ولا ريب أن أولياءه نالوا بوجود عدو الله إبليس وجنوده ، وامتحانهم به من أنواع شكره ما لم يكن ليحصل لهم بدونه ، فكم بين شكر آدم وهو في الجنة قبل أن يخرج منها وبين شكره بعد أن ابتلي بعدوه ، ثمَّ اجتباه ربُّه وتاب عليه وقبله .

٨ ـ في خلق إبليس قيام سوق العبودية :

ومنها أن المحبة والإنابة والتوكل والصبر والرضا ونحوها ـ أحب العبودية إلى الله سبحانه ، وهذه العبودية إنما تتحقق بالجهاد وبذل النفس لله ، وتقديم محبته على كل ما سواه ، فالجهاد ذروة سنام العبودية ، وأحبها إلى الربِّ سبحانه ، فكان في خلق إبليس وحزبه قيام سوق هذه العبودية وتوابعها التي لا يحصي حكمها وفوائدها وما فيها من المصالح إلا الله .

٩ ـ وترتب على ذلك ظهور آياته وعجائب قدرته :

ومن هذه الحكم أن في خلق من يضاد رسله ويكذبهم ويعاديهم من تمام ظهور آياته وعجائب قدرته ولطائف صنعه ما وجوده أحب إليه وأنفع لأوليائه من عدمه ، كظهور آية الطوفان ، والعصا ، واليد ، وفلق البحر ، وإلقاء الخليل في النار ، وأضعاف أضعاف ذلك من آياته ، وبراهين قدرته ، وعلمه ، وحكمته ، فلم يكن بُدٌّ من وجود الأسباب التي يترتب عليها ذلك .

١٠ ـ الخلق من النار آية :

ومن هذه الحكم أن المادة النارية فيها الاحراق والعلو والفساد ، وفيها الاشراق والاضاءة والنور ، فأخرج منها ـ سبحانه ـ هذا وهذا ، كما أنَّ المادة الترابية الأرضية فيها الطيب والخبيث ، والسهل والحزن ، والأحمر والأسود والأبيض ، فأخرج منها ذلك كله حكمة باهرة وقدرة قاهرة ، وآية دالة على أنه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) .

١١ ـ ظهور متعلقات أسمائه :

ومن هذه الحكم أن من أسمائه الخافض الرافع المعز المذل الحكم العدل المنتقم ، وهذه الأسماء تستدعي متعلقات يظهر فيها أحكامها ، كأسماء الاحسان والرزق والرحمة ونحوها ، ولا بدَّ من ظهور متعلقات هذه وهذه .

١٢ ـ ظهور آثار تمام ملكه وعموم تصرفه :

ومن هذه الحكم أنه سبحانه الملك التام الملك ، ومن تمام ملكه عموم تصرفه وتنوعه بالثواب والعقاب والإكرام والاهانة والعدل والفضل والاعزاز والاذلال ، فلا بدَّ من وجود من يتعلق به أحد النوعين كما أوجد من يتعلق به النوع الآخر .

١٣ ـ وجود إبليس من تمام حكمته تعالى :

ومن هذه الحكم أن من اسمائه الحكيم ، والحكمة من صفاته ـ سبحانه ـ وحكمته تستلزم وضع كل شيء موضعه الذي لا يليق به سواه ، فاقتضت خلق المتضادات ، وتخصيص كل واحد منها بما لا يليق به غيره من الأحكام والصفات والخصائص ، وهل تتم الحكمة إلا بذلك ، فوجود هذا النوع من تمام الحكمة كما أنه من كمال القدرة .

١٤ ـ حمده تعالى على منعه وخفضه :

ومنها أن حمده ـ سبحانه ـ تام كامل من جميع الوجوه ، فهو محمود على عدله ومنعه وخفضه ورفعه وانتقامه واهانته ، كما هو محمود على فضله وعطائه ورفعه واكرامه ، فله الحمد التام الكامل على هذا وهذا ، وهو يحمد نفسه على ذلك كله ، ويحمده عليه ملائكته ورسله وأولياؤه ، ويحمده عليه أهل الموقف جميعهم ، وما كان من لوازم كمال حمده وتمامه ، فله في خلقه وإيجاده الحكمة التامة ، كما له عليه الحمد التام ، فلا يجوز تعطيل حمده كما لا يجوز تعطيل حكمته .

١٥ ـ وبخلقه يظهر الله لعباده حلمه وصبره :

ومنها أنه ـ سبحانه ـ يحب أن يظهر لعباده حلمه ، وصبره ، وأناته ، وسعة رحمته ، وجوده ، فاقتضى ذلك خلق من يشرك به ، ويضاده في حكمه ، ويجتهد في مخالفته ، ويسعى في مساخطه ، بل يشبهه سبحانه وتعالى ، وهو مع ذلك يسوق إليه أنواع الطيبات ، ويرزقه ، ويعافيه ، ويمكن له من أسباب ما يلتذ به من أصناف النعم ، ويجيب دعاءه ، ويكشف عنه السوء ، ويعامله من بره وإحسانه بضد ما يعامله هو به من كفر وشركه واساءته ، فلله كم في ذلك من حكمة وحمد .

ويتحبب إلى أوليائه ويتعرف بأنواع كمالاته ، كما في الصحيح عنه

ـ ﷺ ـ أنه قال : لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله ، يجعلون له الولد وهو يرزقهم .

وفي الصحيح عنه ـ ﷺ ـ فيما يروي عن ربه : (شتمني ابن آدم ، وما ينبغي له ذلك ، وكذبني ابن آدم ، وما ينبغي له ذلك ، أمّا كذبه إياي ، فقوله : اتخذ الله ولداً ، وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفؤاً أحد ، وأمّا تكذيبه إياي ، فقوله : لن يعيدني كما بداني ، وليس بأول الخلق بأهون عليه من اعادته ، وهو سبحانه مع هذا الشتم له والتكذيب له يرزق الشاتم المكذب ، ويعافيه ، ويدفع عنه ، ويدعوه إلى جنته ، ويقبل توبته إذا تاب إليه ، ويبدله بسيئاته حسنات ، ويلطف به في جميع أحواله ، ويؤهله لارسال رسله ، ويأمرهم أن يلينوا له القول ، ويرفقوا به ، قال الفضيل بن عياض : (ما من ليلة يختلط ظلامها إلا نادى الجليل ـ جلَّ جلاله ـ من أعظم مني جوداً ، الخلائق لي عاصون ، وأنا أكلؤهم في مضاجعهم ، كأنهم لم يعصوني ، وأتولى حفظهم ، كأنهم لم يذنبوا ، أجود بالفضل على العاصي ، وأتفضل على المسيء .

من ذا الذي دعاني فلم ألبـــه ؟ ومن ذا الذي سألني فلم أعطه ؟

أنا الجواد ، ومني الجود ، أنا الكريم ومني الكرم ، ومن كرمي أني أعطي العبد ما سألني ، وأعطيه ما لم يسألني ، ومن كرمي أني أعطي التائب كأنه لم يعصني ، فأين عني يهرب الخلق ، وأين عن بابي ينتحي العاصون ؟

وفي أثر إلهي : (إني والإنس والجن في نبأ عظيم : أخلق ويعبد غيري ، وارزق ويشكر سواي) .

وفي أثر حسن : (ابن آدم ما أنصفتني : خيري إليك نازل ، وشرّك إلي صاعد ، كم أتحبب إليك بالنعم ، وأنا غني عنك ، وكم تتبغض إلي بالمعاصي وأنت فقير إلي ، ولا يزال الملك الكريم يعرج إلي منك بعمل قبيح) .

وفي الحديث الصحيح (لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم) .

خلق الله خلقه بحيث يظهر فيهم احكام اسمائه وصفاته وآثارها :

فالله سبحانه لكمال محبته لأسمائه وصفاته اقتضى حمده وحكمته أن يخلق خلقاً يظهر فيهم أحكامها وآثارها . فالمحبة للعفو خلق من يحسن العفو عنه ، ولمحبته للمغفرة خلق من يغفر له ويحلم عنه ويصبر عليه ولا يعاجله ، بل يكون يحب أمانه وإمهاله .

ولمحبته لعدله وحكمته خلق من يظهر فيهم عدله وحكمته .

ولمحبته للجود والإحسان والبر خلق من يعامله بالاساءة والعصيان ، وهو سبحانه يعامله بالمغفرة والاحسان فلولا خلق من يجري على أيديهم أنواع المعاصي والمخالفات لفاتت هذه الحكم والمصالح وأضعافها وأضعاف أضعافها ، فتبارك الله رب العالمين وأحكم الحاكمين ، ذو الحكمة البالغة ، والنعم السابغة الذي وصلت حكمته إلى حيث وصلت قدرته ، وله في كل شيء حكمة باهرة كما أن له فيه قدرة قاهرة وهدايات .

وبعد : فقد ترتب على خلق هذا اللعين حكم كثيرة وحصلت محبوبات لله وافرة :

فكم حصل بسبب هذا المخلوق البغيض للرب المسخوط له من محبوب له تبارك وتعالى ، يتصل في حبه ما حصل به من مكروه ، والحكيم الباهر الحكمة هو الذي يحصل أحب الأمرين إليه باحتمال المكروه الذي يبغضه ويسخطه إذا كان طريقاً إلى حصول ذلك المحبوب . ووجود الملزوم بدون لازمه محال ، فإن يكن قد حصل بعدو الله إبليس من الشرور والمعاصي ما حصل ، فكم حصل بسبب وجوده ، ووجود جنوده من طاعة هي أحب إلى الله وأرضى له من جهاد في سبيله ، ومخالفة هوى النفس وشهوتها له ، ويحتمل المشاق والمكاره في محبته ومرضاته ، وأحبُّ شيء للحبيب أن

يرى محبه يتحمل لأجله من الأذى والوصب ما يصدق محبته .

من أجلك قد جعلت خدي أرضا   للشامت والحسود حتى ترضى

ومن أثر إلهي (بغيتي ما يتحمل المتحملون من أجلي) فلله ما أحب إليه احتمال محبيه أذى أعدائه لهم فيه ، وفي مرضاته ، وما أنفع ذلك الأذى لهم وما أحمدهم لعاقبته ، وماذا ينالون به من كرامة حبيبهم وقربه قرة عيونهم به ، ولكن حرام على منكري محبة الرب تعالى أن يشموا لذلك رائحة أو يدخلوا من هذا الباب أو يذوقوا من هذا الشراب .

قل للعيون العمـــي للشمس أعين   سواك يراها في مغيب ومطلع
وسامح نفوساً لم يؤهـل لحبهـم   فما يحسن التخصيص في كل موضع

فإن أغضب هذا المخلوق ربه فقد أرضاه فيه أنبياؤه ورسله وأولياؤه ، وذلك الرضا أعظم من ذلك الغضب ، وإن أسخطه ما يجري على يديه من المعاصي والمخالفات فإنّه سبحانه أشدّ فرحاً بتوبة عبده من الفاقد لراحلته التي عليها طعامه وشرابه إذا وجدها في المفاوت المهلكات ، وإن أغضبه ما جرى على أنبيائه ورسله من هذا العدو اللعين فقد سرّه وأرضاه ما جرى على أيديهم من حربه ومعصيته ومراغمته وكبته وغيظه ، وهذا الرضاء أعظم عنده وأبرّ لديه من فوات ذلك المكروه المستلزم لفوات هذا المرضي المحبوب .

وإن اسخطه أكل آدم من الشجرة فقد أرضاه توبته وإنابته وخضوعه وتذلله بين يديه وانكساره له .

وإن أغضبه اخراج اعدائه لرسوله ـ ﷺ ـ من حرمه وبلدته ذلك الخروج ، فقد أرضاه أعظم الرضا دخوله إليها ذلك الدخول .

وإن أسخطه قتلهم أوليائه وأحبابه وتمزيق لحومهم واراقة دمائهم فقد أرضاه نيلهم الحياة التي لا أطيب منها ولا أنعم ولا ألذّ في قربه وجواره .

وإن أسخطه معاصي عباده فقد أرضاه شهود ملائكته وأنبيائه ورسله

وأوليائه سعة مغفرته وعفوه وبرِّه وكرمه وجوده والثناء عليه بذلك وحمده وتمجيده بهذه الأوصاف التي حمده بها وأثنى عليه بها أحب إليه وأرضى له من فوات تلك المعاصي وفوات هذه المحبوبات .

واعلم أن الحمد هو الأصل الجامع لذلك كله ، فهو عقد نظام الخلق والأمر ، والرب تعالى له الحمد كلُّه بجميع وجوهه واعتباراته وتصاريفه ، فما خلق شيئاً ولا حكم بشيء إلا وله فيه الحمد فوصل حمده إلى حيث وصل خلقه وأمره حمداً حقيقياً يتضمن محبته والرضا به وعنه والثناء عليه والاقرار بحكمته البالغة في كل ما خلقه وأمر به ، فتعطيل حكمته غير تعطيل حمده .. فكما أنه لا يكون إلا حميداً فلا يكون إلا حكيماً ، فحمده وحكمته كعلمه وقدرته ، وحياته من لوازم ذاته ولا يجوز تعطيل شيء من صفاته وأسمائه ومقتضياتها وآثارها ، فإن ذلك يستلزم النقص الذي يناقض كماله وكبريائه وعظمته

ولأنه يحب سبحانه أن يكون ملاذاً ومعاذاً لأوليائه :

وفي هذا يقول ابن القيم : كما أن من صفات الكمال وأفعال الحمد والثناء أنه يجود ويعطي ويمنح ، فمنها أن يعيذ وينصر ويغيث فكما يحب أن يلوذ به اللائذون يحب أن يعوذ به العائذون ، وكمال الملوك أن يلوذ بهم أولياؤهم ويعوذوا بهم كما قال أحمد بن حسين الكندي في ممدوحه :

يا من ألوذ به فيما أؤملـــــه ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبر الناس عظماً أنت كاسره ولا يهيضون عظماً أنت جابره

ولو قال ذلك في ربِّه وفاطره لكان أسعد به من مخلوق مثله .

والمقصود أن ملك الملوك يحب أن يلوذ به مماليكه وأن يعوذوا به كما أمر رسوله أن يستعيذ به من الشيطان الرجيم في غير موضع من كتابه ، وبذلك يظهر تمام نعمته على عبده إذا أعاذه وأجاره من عدوه ، فلم يكن اعاذته

واجارته منه بأدنى النعمتين والله تعالى يحب أن يكمل نعمته على عباده المؤمنين ويريهم نصره لهم على عدوهم وحمايتهم منه وظفرهم به ، فيا لها من نعمة كمل بها سرورهم ونعيمهم ، وعدل أظهره في أعدائه وخصمائه .

وما منهما إلا له فيه حكمـــة   يقصر عن إدراكها كل باحث

الحكمة في بقاء إبليس إلى آخر الدهر :

أجاب ابن القيم رحمه الله عن ذلك في (شفاء العليل ص ٣٢٧) ووضحه .

امتحان العباد :

فما ذكره رحمه الله تعالى : أنه سبحانه جعله محكاً ومحنة يخرج به الطيب من الخبيث ووليُّه من عدوه ، ولذا اقتضت حكمته ابقاءه ليحصل الغرض المطلوب بخلقه ولو أماته لفات ذلك الغرض . كما أن الحكمة اقتضت بقاء أعدائه الكفار في الأرض إلى آخر الدهر ولو أهلكهم البتة لتعطلت الحكم الكثيرة في ابقائهم فكما اقتضت حكمته امتحان أبي البشر اقتضت امتحان أولاده من بعده به ، فتحصل السعادة لمن خالفه وعاداه ، وينحاز إليه من وافقه ووالاه .

وأبقاه مجازاة له على صالح عمله السابق :

ومنها أنه لما سبق حلمه وحكمته أنه لا نصيب له في الآخرة وقد سبق له طاعة وعبادة جزاه بها في الدنيا بأن أعطاه البقاء فيها إلى آخر الدهر فإنه سبحانه لا يظلم أحداً حسنة عملها ، فأمّا المؤمن فيجزيه بحسناته في الدنيا وفي الآخرة ، وأمّا الكافر فيجزيه بحسنات ما عمل في الدنيا فإذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له شيء كما ثبت هذا المعنى في الصحيح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – .

أملي له ليزداد إثماً :

وبقاؤه إلى يوم القيامة لم يكن كرامة في حقه ، فإنّه لو مات كان خيراً له

وأخف لعذابه وأقل لشرِّه ، ولكن لما غلظ ذنبه بالاصرار على المعصية ومخاصمة من ينبغي التسليم لحكمه والقدح في حكمته والحلف على اقتطاع عباده وصدهم عن عبوديته كانت عقوبة الذنب أعظم عقوبة بحسب تغلظه فأبقي في الدنيا وأملي له ليزداد هذا إثماً على إثم ذلك الذنب فيستوجب العقوبة التي لا تصلح لغيره ، فيكون رأس أهل الشرِّ في العقوبة كما كان رأسهم في الشرِّ والكفر . ولما كان مادة كل شرٍّ فعنه تنشأ جوزي في النار مثل فعله ، فكل عذاب ينزل بأهل النار يبدأ فيه ثمَّ يسري منه إلى أتباعه عدلاً ظاهراً وحكمة بالغة .

وأبقاه ليتولى المجرمين :

ومن حكم ابقائه إلى يوم الدين أنّه قال في مخاصمته لربِّه (أرأيتك هذا الذي كرمت عليَّ لئن اخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكنَّ ذريته إلا قليلاً) (سورة الاسراء / ٦٢) وعلم الله سبحانه أن في الذرية من لا يصلح لمساكنته في داره ، ولا يصلح إلا لما يصلح له الشوك والروث أبقاه له ، وقال له بلسان القدر هؤلاء أصحابك وأولياؤك فاجلس في انتظارهم وكلما مرَّ بك واحد منهم فشأنك به فلو صلح لي ما ملكتك منه فإني اتولى الصالحين ، وهم الذين يصلحون لي وانت ولي المجرمين من الذيـن غنوا عن موالاتي وابتغاء مرضاتي ، قال تعالى : (إنّه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، إنّما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) (سورة النحل / ٩٩ ـ ١٠٠) .

فأمّا إماتة الأنبياء والمرسلين فلم يكن ذلك لهوانهم عليه ولكن ليصلوا إلى محل كرامته ويستريحوا من نكد الدنيا وتعبها ومقاساة أعدائهم وأتباعهم وليحيى الرسل بعدهم ، يرى رسولاً بعد رسول ، فإماتتهم أصلح لهم وللأمَّة ، أمّا هم فلراحتهم من الدنيا ولحوقهم بالرفيق الأعلى في أكمل لذة وسرور ولا سيما وقد خيرهم ربهم بين البقاء في الدنيا واللحاق به ، وأمّا الأمم فيعلم أنهم لم يطيعوهم في حياتهم خاصة بل أطاعوهم بعد مماتهم كما أطاعوهم في حياتهم وإن أتباعهم لم يكونوا يعبدونهم بل يعبدون الله بأمرهم ونهيهم ،

والله هو الحي الذي لا يموت ، فكم في اماتتهم من حكمة ومصلحة لهم وللأمة . هذا وهم بشر ولم يخلق الله البشر في الدنيا على خلقة قابلة للدوام بل جعلهم خلائف في الأرض يخلف بعضهم بعضاً فلو أبقاهم لفاتت المصلحة والحكمة في جعلهم خلائف ولضاقت بهم الأرض ، فالموت كمال لكل مؤمن ، ولولا الموت لما طاب العيش في الدنيا ولا هناء لأهلها بها ، فالحكمة في الموت كالحكمة في الحياة .

إلى أي مدى نجح الشيطان في اهلاك بني آدم ؟

عندما رفض الشيطان السجود لآدم وطرده الله من رحمته وجنته وغضب عليه ولعنه ، أخذ على نفسه العهد أمام ربِّ العزة بأن يضلنا ويغوينا ، ويعبدنا لنفسه (لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً ولأضلنهم ولأمنينهم...) (سورة النساء/ ١١٨ - ١١٩) .

(قال أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلاً) (سورة الإسراء /٦٢) .

فإلى أي مدى حقق الشيطان مراده من بني الإنسان ؟

إن المسرِّح نظره في تاريخ البشرية يهوله ما يرى من ضلال الناس وكيف كذبوا الرسل والكتب وكفروا بالله ربهم وأشركوا به مخلوقاته كما قال تعالى : (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) (سورة يوسف/ ١٠٣) ولذا حق عليهم غضب الله وانتقامه (ثمَّ أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم أحاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون) (سورة المؤمنون /٤٤) .

وفي الحاضر حيثما نظرنا أبصرنا أولياء الشيطان تعج بهم الحياة ، يرفعون رايته وينادون بمبادئه ، ويعذبون أولياء الله ، ويدلنا على مدى تحقيق الشيطان لمراده أن الله يأمر آدم يوم القيامة أن يخرج من ذريته بعث النار ، فلما يستفسر

عن مقدار هذا البعث يقول له : تسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة ، وفي رواية تسعمائة وتسعة وتسعون في النار وواحد في الجنَّة .

وبذلك يصدق ظنه في هذه الذرية التي لم تعتبر بما جرى لأبيها ، ولا بما جرى لأسلافها ، ويبقى هذا اللعين يقودها إلى هلاكها ، بل أحياناً تسابقه إلى الجحيم .

وما أقبح أن يصدق ظن العدو في عدوه (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين) (سورة سبأ /٢٠) قبيح بالإنسان أن يتحقق فيه ظن الشيطان فيطيع هذا العدو ويعصي ربَّه الرحمن ، ولقد بلغ الأمر حدّاً لا يوصف ولا يتصور ، فهذه طائفة في العراق وفي جهات أخرى تطلق على نفسها : عباد الشيطان ، وبعض الكتاب نراهم يحلفون (بحق الشيطان) فما أعجب أمرهم !

لا تفكر بكثرة الهالكين :

حريٌّ بالعاقل اللبيب أن لا يغتر بكثرة الهالكين ، فالكثرة ليس لها اعتبار في ميزان الله ، إنما الاعتبار بالحقّ ولو قَلَّ عدد متبعيه .

فكن من اتباع الحق الذين رضوا بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً ، الذين عرفوا الشيطان وأتباع الشيطان فحاربوهم بالبغض القلبي ، وبالكلمة من اللسان ، وبالكتابة باليد ، وبالعمل بالحق وبمحاربتهم بالحجة والبرهان والسيف والسنان ، وقبل ذلك بالالتجاء إلى الرحمن والتمسك بدينه .

(يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنّه لكم عدو مبين فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم) (سورة البقرة / ٢٠٨-٢٠٩) نسأل الله أن يجعلنا بمنه وكرمه من الذين دخلوا في السلم دخولاً كلياً وصلى وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبة وسلم .

المراجع

١ ـ اغاثة اللهفان ـ لابن القيم .
٢ ـ الإيمان بالملائكة ـ لأحمد عز الدين البيانوني .
٣ ـ البداية والنهاية ـ لابن كثير .
٤ ـ تفسير ابن كثير .
٥ ـ تلبيس إبليس ـ لابن الجوزي .
٦ ـ جامع الرسائل ـ لابن تيمية .
٧ ـ دائرة المعارف الحديثة ـ لأحمد عطية .
٨ ـ الروحية الحديثة ـ لمحمد محمد حسين .
٩ ـ شرح العقيدة الطحاوية .
١٠ ـ شفاء العليل ـ لابن القيم .
١١ ـ صحيح الجامع ـ لناصر الدين الألباني .
١٢ ـ العقائد الإسلامية ـ لسيد سابق .
١٣ ـ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ـ لابن تيمية .
١٤ ـ لوامع الأنوار البهية (عقيدة السفاريني) .
١٥ ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ـ جمع ابن قاسم .
١٦ ـ الوابل الصيب من الكلم الطيب ـ لابن القيم .
١٧ ـ جريدة القبس الكويتية .
١٨ ـ جريدة الوطن الكويتية .

الفهرس

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة